دراســـة لبعض نصوص علم الكــلام

عايدة عبد الحميد عبد الرحمن

أستاذ مساعد بكلية الدراسات الإسلامية بالخانكة

قسم العقيدة والفلسفة

الملخص:

أطلق الدين الإسلامي حرية الفكر في القضايا المعاصرة والمسائل المتجددة، وعلي هذه المذاهب الفكرية، أن تراعي حرمة أصول الدين، فتحريفها تأويلا أوتصريحا، يخرج الإنسان من الدين. الدين باق، وتذهب المذاهب بنيتها الطيبة وغير الطيبة، وليس بمؤمن من يترك عقيدته من أجل مذهب، يحقق له مصالح شخصية

ليس من أصول الدين الإسلامي حجر العقل عن التفكير، وعلى المذاهب الفكرية أن تلتزم بدورها، لا تتعدي على رسالة الدين، خاصة أن الدين الإسلامي مذهب إيماني وفكري شامل. جانب الإيمان فيه يتعامل مع روح الإنسان ووجدانه، ليس للفكر فيه قولا، إلا إتباع كلمة الدين

Summary:

The Islamic religion has freedom of thought in contemporary issues and renewed issues, and on these doctrines of thought, to take into account the sanctity of the fundamentals of religion, and the interpretation of the interpretation or utopia, comes out of the religion. Religion remains, and the doctrines go to good and not good, and not to a believer who leaves his faith for a doctrine, achieves personal interests

The Islamic religion is not the cornerstone of thinking, and the doctrines of thought must adhere to its role, not infringe on the message of religion, especially that the Islamic religion is a comprehensive doctrine of faith and thought. The aspect of faith in him deals with the spirit of man and his soul, not to think about it in word, but to follow the word of religion

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين،

سيدنا محمد وعلى أهله وصحبه وسلم

مقدمة

انفرد القرآن الكريم بدقة الألفاظ ووضوح المعاني، والتأكيد على أن آلة الفكر عند الإنسان هي العقل، وأن للعقل مرتبات متعددة: إدراك، وحكمة، ورشد.بالإدراك يتصور العقل الأمور ويفهمها، يرسم لها صورة في الذهن، ويحكم عليها بالخير أوالشر، بالأمر أوالنهي، بالحلال أوالحرام {**والراسخون في العلم يقولون أمنا به**}[آل عمران: آية ٧]، وعندما يبلغ الإنسان مرتبة الحكمة، فقد تفقه في الدين، عرف العلل، وميز بين الحسن والقبيح، وأيقظ وازع الأخلاق والضمير{**يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا**}[البقرة: آية ٢٦٩]، وإذا جمع الإنسان بين تمام الإدراك وكمال الحكمة، وأحسن تقدير الأمور، فقد وصل مرتبة الرشد{**قد تبين الرشد من الغي**}[البقرة: ٢٥٦]لقد أعلى الله من مكانة العقل، وأقر فريضة التفكير لكشف الحقائق، وجعل له سلطانا في تصريف كل أمور الحياة

بعد العولمة والحملات الفكرية المتتابعة، وسيطرة العَلْمانية"غير الدينية" على الفكر الغربي الحديث، تحت شعار لا حدود للفكر والإبداع، جعل البعض من المفكرين، لا يميز بين قداسة الدين والإرث الإنساني، يتعامل مع الدين على أنه تراث فكري، تحت النقد، لا يفرق بين ما هوعمل بشري مصدره الإنسان، وما هووحي منزل من قبل الله سبحانه.وخطر ذلك أنه يعرض الدين للمنهج النقدي مثل بقية العلوم، فيعرض الدين لعملية المنع: بطلب الدليل على بعض الآيات أوالأحاديث الصحيحة، أوالنقض: فيدعي أن بعض الآيات، وبعض الأحاديث يؤدي معناها إلى المحال، وإلى ما لا يتقبله العقل.أوالمعارضة: بأن يضرب الآيات بعضها ببعض، أويضرب الآيات

بالأحاديث، ليشكك في صدقها، فيغير مفاهيم الدين،لتوافق الفكر الغربي، الذي يريد أن يسيطر على الثقافة والعلوم

سمح الإسلام بالجدل بالتي هي أحسن، لتحقيق الوفاق بين الأطراف المختلفة، وتقريب الآراء.لكن الاختلاف في فهم النصوص، أحدث فرقة بين المسلمين، وقسمهم إلى مذاهب وطوائف، وقدم لنا صورة لاختلاف الرأي بين المسلمين، ما أنزل الله بها من سلطان، مخالفة لأوامر الله الصريحة، بالوحدة والتماسك والتعاون على البر والتقوى، كأنهم ينفذون مخططا لتشويه الفكر الإسلامي، تحت شعار حرية الرأي، والبحث عن الحقيقة.يقابل ذلك المطالبة الحثيثة على تغيير الخطاب الديني بما يتوافق مع تطلعات وقضايا العصر، لذلك اخترت موضوع

" **دراسة لبعض نصوص علم الكلام**"

لأنه من أدوات تجديد الفكر الإسلامي في الوقت الحالي.يتضمن البحث:

الفصل الأول: فوائد التجديد، ومحاولات دراسة التراث

المبحث الأول: فوائد تجديد التراث

المبحث الثاني: دراسة التراث الإسلامي

الفصل الثاني: تطبيق التعامل مع التراث

المبحث الأول: حكم اختلاف الدين، أوالمذهب

المبحث الثاني: حكم من على مذهب الفلاسفة

المبحث الثالث: منهج ابن رشد في الرد على الغزالي

"وأسال الله العظيم أن يهدينا سبيل الرشاد، ويجمع أمتنا، ويوحد كلمتنا، إنه على كل شيء قدير"

الفصل الأول

فوائد التجديد، ومحاولات دراسة التراث

لم يكن الدين الإسلامي حائلا أومانعا للإنسان عن العلم، فقد تعددت آيات القرآن الكريم التي تحث دائما على الإتقان في العمل والتفوق في العلم، لكي يستحق الإنسان أن يكون خليفة الله في أرضه.قال تعالى{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} [الملك: آية٢] وقوله {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: آية ١٠٥]، وقوله {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} [الزلزلة: آية٨] وقوله {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْأُنْثَى وَهُومُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل: آية٩٧] وقوله {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ} [غافر: آية٥٨] وقوله {وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} [النجم: آية٣١]وقوله {وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} (المؤمنون: آية٥١) وقوله {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُومُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ} [الأنبياء: آية٩٤].المصدر الأساس للتراث الإسلامي هوالقرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة، اللذان نهل منهما المسلمون، كل ما قدموه للبشرية من نتاج علمي وفكري وثقافي، رسخ للهوية الإسلامية وثبت جذورها، وجعلها أهم وأعظم ثقافات العالم.والموضوعية تقتضي ألا تضفي القداسة على التراث الإنساني الإسلامي بحجة، أن الوحي مصدره، بل التراث عمل إنساني، يؤخذ منه ويرد

المبحث الأول

فوائد تجديد التراث

١-توضيح عدم وجود أي تناقض، بين الدين الإسلامي المنزل من قبل الله تعالى، وعطاء العقل، بل يأمر الإسلام الناس، بالانقياد للعقل بعد الدين، ويلزم العقل بالاجتهاد، للتعامل مع كل ما استجد من قضايا العصر، للقضاء على الفتن في مهدها، ونزع أي خلاف بين المسلمين

٢-يراعي في التجديد أن الغزوكالحرباء يتشكل بأشكال مختلفة، والغزوالثقافي أشد فتكا من حرب السلاح، يقضي على الأمم ويمزق الشعوب، لأنه حرب فكرية لتحريف وتغيير ثقافة أمة، والتشكيك في مبادئها ومحوتقاليدها، يتغلغل في ضمائر هذه الأمم، تمهيدا لتقبل الأفكار الواردة، والثقافات الغازية لها، فتذوب فيها الأمم وتتطبع بطابع الغازي، وتتخلى عن تراثها وحضارتها الأصيلة.فتطمس هوية وثقافة البلاد، لتصبح امتدادا لثقافة الغازي، فتظل له التبعية على الدوام.وبعد كل ذلك يتهمون المسلمين بأنهم مقلدون، وليسوا مبدعين

٣-أن القائمين على حماية التراث أحرى الناس على تحقيقه ودراسته ونشره، وإخراج ما فيه من لآلئ.في مقابل ذلك، وزيادة الإلحاح على التجديد، قد تظهر أفكار هدامة مسمومة، أوآراء خبيثة، تضرب المجتمع قبل الدين، وتغرس الفتنة حول مبادئ الدين، التقطها أي مغرض من أي مكان كان، فيجب الحذر من مثل هذه الأفكار

٤-من الطرق الشائعة في هذا العصر، أن المغرض، يلتقط بعض الآراء الشاذة، ويستغلها أسوء استغلال فيروجها، ليؤثر بها على أفكار الناس، ويهز ثقتهم في دينهم، بقضايا دخيلة على المجتمع وثقافته وحضارته.فيجب سد هذه الثغرة بأن يتتبع العلماء

هذه الآراء لدراستها دارسة وافية، لتكون لديهم الإجابة الشافية،إذا ما أثيرت في أي وقت

محاولات التجديد بين الماضي والحاضر

لم تكن فكرة التجديد وبحث ما في التراث وليدة اليوم، أومن مستجدات العصر، فقد شارك بعض التابعين في صدر الإسلام، بنية طيبة اعتقادا منهم خدمة الإسلام، أرادوا كشف بعض المجمل في القرآن الذي لم يذكره الله صراحة، كأسماء بعض الأشخاص والبلاد، اعتمدوا فيه على معلومات من بعض كتب اليهود الذين أسلموا.فسروا بعض آيات القرآن الكريم الذي لا حاجة للمسلمين به.ونتيجة ذلك، اتهام كتب الفكر الإسلامي أن بها الكثير من الإسرائيليات التي غزت عقول المسلمين قديما، وشكلت ثقافاتهم المتصلة بالدين أوالتاريخ.وأتفق العلماء على أن ما جاء عن كتب السابقين ثلاثة أقسام:

-ما يوافق شرع الإسلام،يقبل

-ما يخالف الشرع،يرد

-ما لم يوافق شريعة الإسلام ولا يخالفها،يذكر على سبيل الاستشهاد،لا نصدقهم فيه ولا نكذبهم

في العصر الحالي جاءت صيحة التجديد لمحاربة الدين بالفكر، وزرع الشك والحيرة والقلق، في أساسيات ومبادئ الدين، بحجة التجديد والتحرر والتقدم، وأن هذا التراث غير صالح للتطبيق في الوقت الحالي.سلاح أصحاب الصيحة، بعض نظريات الغرب، سماتهم الغموض واحتقار عقول الناس، بأنهم أقل منهم عقلا، وأدني من أن يفهموا ويستوعبوا ما يطرح عليهم من أفكار حديثة.يحرفون الكلم عن مواضعه، فيتلاعبون بالألفاظ وبالتأويل، وتعريب الكلمات، ويقصرون أحكام النصوص المقدسة

على الوقت التي نزلت فيه فقط، لديهم ألف مخرج، إذا اكتشفت حيلهم.هدفهم تنحية الدين جانبا، وإحلال العلم مكانه، ليكون القائد الذي يفسر كل ما في العالم من أحداث، فالعلم، هوالقادر في نظر أصحاب صيحة التجديد، على تحقيق السعادة للإنسان في حياته، يمكنه من كل وسائل الرفاهية، وهوسبب تفوق الغرب على المسلمين

ساوى بعض المفكرين بين التراث الإسلامي، وما به من أقوال فكرية وأفعال إنسانية، وبين نصوص الدين الإسلامي المقدسة، يدافعون عن التراث الإسلامي كله على أنه دين.والبعض الآخر فصل الدين عن التراث الإسلامي، على أساس أن الدين " إلهي"، والتراث "إنساني"، ولا ينبغي الخلط بين العمل الإنساني، والوحي الإلهي.ونتيجة ذلك تعزل نصوص القرآن والسنة، باعتبارها نصوصا مقدسة عن الناس، بما يعنى جمودها، وتكثر الدعاوي، بأنها غير قابلة للتطبيق في أي زمان ومكان، فيخرج الإسلام وتراثه من الإرث الحضاري، بلا أي تأثير، وينزع عن الأمة الإسلامية أساس هويتها ومجد حضارتها.فيجب ألا يقتصر التراث على الإنجاز الإنساني الحضاري، بل يشمل أيضاً الوحي الإلهي من القرآن والسنة الصحيحة، لكن مع التنبيه أن القرآن والسنة وخاصة القرآن الكريم "وحي إلهي"، لا يوزن بميزان النقد، الذي يوزن به مؤلفات العباد، من منع، بطلب الدليل على إحدى مقدمات الدليل، أومعارضة، بإتيان دليل على خلاف دليل الخصم، أونقض، بإبطال دليل الخصم، لأنه يستلزم المحال، أويجري على مدعى آخر

معنى كلمة تراث

أصل كلمة تراث في اللغة: من مادة (ورث) ومعناها "ما يتركه الإنسان لمن بعده"، كما جاء في قوله تعالى: **{فهب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب}** [مريم: آية

٥-٦]، وقوله: {**وتأكلون التراث أكلا لمًّا**} [الفجر: آية ١٩]، وقوله عز وجل: {**وورث سليمان داود**} [النمل: آية ١٦] تطلق كلمة التراث على وراثة الحسب والمال والدين، وقد تتسع لتشمل الملك والنبوة.فالتراث هوالإرث و(القيم الإنسانية المتوارثة)[١]

يعرف التراث: بما تركه السلف للخلف من عقيدة وحضارة مادية أومعنوية.هوالمخزون الثقافي والعلمي الذي تستمد منه الأمم لترقى به في كل أمور الحياة، هوالأساس في ثقافة الأمة بما فيه من مخزون الخبرات والعبر والعلوم يهتدي بها الناس في تعاملهم مع الحاضر والمستقبل.هوكل عطاء العقل البشري في مختلف مجالات الحياة الفكرية والمادية، وصار ميراثًا للأبناء من الآباء، سواء كان ميراثًا ماديًّا، أوكان معنويا كالفكر، والعادات والتقاليد، والخبرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

أقسام التراث، ومنهج التعامل معه

يقسم التراث إلى: - الوحي الإلهي "المقدس" هوالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة

-وإنتاج العقل الإنساني "غير مقدس" في جميع المجالات الفكرية والمادية

منهج التعامل مع التراث بحسب المصدر

الذي مصدر الوحي الإلهي: القرآن الكريم والسنة الشريفة، استمد المسلمون منهما مبادئ وقواعد ضبط الفكر.فالقرآن الكريم مرجع وميزان عدل على التراث بما فيه من قيم.ومرجع لتطبيق السنة الصحيحة، يحتكم إليه الجميع، عند الاختلاف في أي قضية من قضايا التراث.

منهج التعامل مع القرآن الكريم: هومنهج ثوابت الدين، تقديس كل ما قدسه الدين، على أساس أنه وحي إلهي، لا يقبل التشكيك في آياته، أوالتبديل في أحكامه،

١) المعجم الوجيز: ص٦٤٤، وزارة التربية والتعليم

أوالاختيار منه حسب الأهواء.هوميزان عدل يقوم جميع أمور الحياة، التي تتطور في إطار مبادئ الدين الأساس، لا يسمح بالخروج عنها.

الذي مصدر التراث الإسلامي: هوحصيلة الأفكار العقلية والمادية للعلماء بمختلف الطبقات الفكرية والثقافية الاجتماعية تتطلب دراسته، إعادة توضيح ما التبس على الناس في بعض الأمور، أوما أراد به البعض إثارة الفتن، والاجتهاد في كشف ما لم يكتشف في المجالات المتعددة، بما يوثق هوية الأمة الإسلامية في الحاضر، ويقفز بها إلى مستقبل واعد.

منهج التعامل مع الإنتاج الفكري: هوالمنهج النقدي، على أساس أنه فعل إنساني، يقبل النقد بالقبول والرد والاختيار، أولا بميزان مبادئ الدين الإسلامي، ثانيا بميزان نقد العلوم.

المبحث الثاني

دراسة التراث الإسلامي

تفتح دراسة التراث الإسلامي آفاقاً جديدة للأمة، لأنه مبني على مبادئ الإسلام ومقاصده، والتراث لا يختلف مع جوهر الدين الإسلامي، لكن الدين الإسلامي، وما به من شرائع وتعاليم وآداب، قد يختلف مع كثير من خصائص وتعاليم الحضارات الأخرى، لاختلاف الدين والتاريخ والحضارة.

فلا تتوافق الثقافة الإسلامية مع المذاهب المادية ولا العلمانية ولا الوضعية، ولا مع النظريات العلمية التي لا تعترف بالشرائع السماوية، ولا بمصدرها.تعدد أشكال التراث الإسلامي وأنواعه، لكن الوثائق والمخطوطات المحفوظة في المتاحف والمكتبات العالمية، بما فيها من قيم سامية ومعارف لم تكتشف بعد، أهم ما يميز الشعوب المسلمة عن غيرها من الشعوب

تحقيق المخطوطات

في تحقيق المخطوطات، يبدأ الباحث أولا بدراسة بعض موضوعات المخطوط، وفي نهاية البحث يقوم بتحقيق النص، ويترتب على ذلك أن تكون الدراسة في واد، والتحقيق في واد آخر، وفي ذلك خطأ منهجي، يؤدي إلى عدم الاستفادة، على الوجه الأكمل من تحقيق النص.فعلم تحقيق النصوص، يعني التحليل والتركيب (التحليل كلمة يونانية معناها فك كل مركب إلى أجزائه، ويقابلها التركيب الذي يعني بناء كل من أجزاء)[1] فالتحقيق يعني التحليل والشرح والتعليق، ثم التركيب والدراسة.ينتقل فيه الباحث من الكلي المجهول الغامض، إلي الجزئي المعلوم الواضح، فيجب أن يبدأ

١) الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناثاي ري، وج.أو .أرمسون، ترجمة فؤاد كامل، ص١١٥

الباحث بالتحقيق أولا، ثم الدراسة ثانيا، لكي يبدأ من حيث انتهى التحقيق، فيقيم دراسته على ما توصل إليه من حقائق في المخطوط

في التحقيق: يحلل الباحث النص بفصل عناصر الموضوع أوصفاته، فصلا عقليا أو فصلا ماديا، حسب طبيعة ومتطلبات الموضوع، للتعرف على خصائص كل عنصر على حده، وصلته ببقية العناصر، ونسبته إلى الموضوع، فتصبح القضية في أبسط صورة خالية من التعقيد.

ويلتزم الباحث بمنهج القرآن الكريم، ومنهج العلوم في العصر الحديث، من حيث تطبيق قواعد علوم اللغة، والمنطق،وآداب البحث المناظرة

وفي الدراسة: يركب الباحث ما حلله وشرحه من النص، ويقيم عليه الدليل بنفس التركيب أو بتجديد طريقة التركيب، فيركب بناء على مبادئ المنطق، أو قواعد النحو، أو علوم السنة وأقوال المفسرين.بما يوضح النص، ويربح الفائدة البالغة من تحقيقه.مثال ذلك: لمعرفة ماهية"حقيقة"الإنسان، يحلل الباحث الإنسان إلى عناصره الأساسية، فهو كائن حي"حيوان"عاقل"يفكر" أي يتكون من جنس "حيوان"وفصل "عاقل". فوضح للجميع أن الصفات الذاتية للإنسان، أنه حيوان ناطق، هذه الصفات ميزت وفصلت الإنسان عن الجماد وبقية الحيوانات، بما جعله مهيأ للتكليف، فخصه الله سبحانه وتعالى بالعبادة.

وفي هذا التعريف أيضا: رد على الملحد الذي ينكر وجود الله لأنه لا يراه، بأنه لا يوجد جنسا يجتمع الله تحته مع بقية الأفراد، يتساوى معهم في معناه، ليعرف به الله.فالحيوانية: هي المادة التي تطلق على جميع أفرادها بالمواطأة، تتساوي فيها جميع الأنواع في معنى الحيوانية. فالإنسان كائن حي، والحصان كائن حي، والأسد كائن

حي، وكذلك بقية الأجناس العليا لا ينطبق معناها على الله، سواء الجسم أو الجوهر، وهذا يعني أن الله ليس بمادة، هذا بالنسبة للجنس.

أما الفصل: فالناطق هوصورة الإنسان، تعني إدراكه لصور الأشياء في عقله، فيكون متصورا، أويدرك صور الأشياء ويحكم عليها، فيكون مصدقا.وكل من معنى التصور أو التصديق، يعني علما بعد جهل، وتلقي العلوم من مانح للعلم.ومعناه أيضا: أن تقسم ذات الإنسان إلى مادة وصورة، بما يعني التركيب والاحتياج، والله واجب الوجود الغني عن العالمين، منزه عن التركيب والاحتياج

ثم يقارن الباحث النص المحقق، بما سبقه من كتب العلماء السابقي، على صاحب المخطوط في مثل هذه القضايا، ويبرز ما أضافه صاحب النص المحقق عن السابقين، ويكمل من حيث انتهى، ويشرح ويفسر ما أوجزه النص.وقد يكون في النص أفكارا جديدة تساعد العلماء على حل كثير من القضايا، ويفتح طريقا جديدا، لمواجه تحديات العصر، وما يعترض الأمة، وما يطرح عليها من موضوعات عصريه، تحتاج إلى حلول.بذلك يستفيد الجميع من النص المحقق، وما به من درر مدفونة في التراث على أكمل وجه.

التحليل: هوتفريق الشيء إلى أجزائه وعناصره، ليسهل معرفته ومعرفة صفاته، بشكل أوضح.

التحليل قسمان: مادي، كتقسيم الشيء إلى مكوناته المادية أو الكيماوية مثل تفريق الماء إلى عنصريه، ذرتين هيدروجين، وذرة أكسجين

وتحليل عقلي: يخص الأشياء التي مصدرها الذهن، كتقسيم الإنسان، وهو نوع موجود في الذهن، لا يوجد في الخارج، إلى الحيوانية والنطق، توجد أفراد الإنسان فقط في الخارج، مثل زيد وعلي

والتركيب: هو جمع جزئيات الشيء المتفرقة، لمعرفته ومعرفة خواصه. أي جمع أمور معلومة للوصول إلي مجهول، وينقسم أيضا إلي تركيب مادي وتركيب عقلي .

التحليل والتركيب: مرحلة لاحقة بعد التقسيم الذي اعتمد عليه علماء المسلمين في مناهج الاستدلال، وأقسامه التقسيم العقلي الذي يجزم العقل بانحصار أقسامه مثل: العدد إما زوج أو فرد، والتقسيم الاستقرائي الذي يجوز العقل وجود قسم آخر غير الأقسام المذكورة مثل: الحيوان ناطق أو صاهل

يستطيع الباحث بالتحليل، تطوير مضمون المفاهيم، وتطويع المصطلحات، إذا حللها دينيا وسياسيا واجتماعيا، لتتلاءم مع مستجدات العصر من خلال(تحليل العبارات المركبة، وردها إلي عناصر أكثر سهولة، وأكثر تأسيسا، كما يصار إلي فحص دلالات المفاهيم والقضايا، هذا إلى جانب تفحص مضمون النص، الذي استخدمت فيه بهدف التحليل، إلي البحث عن أسس البرهان، وعن تحديد شكل صلاحيته)[١]

للفلاسفة على الدوام مقصدان أساسيان:

– بناء نسقات من الميتافيزيقا والمنطق والأخلاق(وهذا تركيب) – وتوضيح أفكار مهمة(وهذا تحليل).إلا أنه لا يمكن التفرقة بين هذين المقصدين على نحوحاسم، لأن ما هوتركيب من وجهة نظر معينة، هوتحليل من وجهة أخرى[٢]

، حلل أفلاطون ظاهرة مادية تشرح بناء المجتمع المادي.وحلل أرسطوأفكارا عقلية ومبادئ أخلاقية، كتحليل الفعل الإرادي إلى عناصره، وكذلك الفضيلة والقيم

١)أطلس الفلسفة: بيتر كونزمان، بيتر بوركارد، ترجمة جورج كتورة ، ترجمة جورج كتورة، ص٢١٩، المكتبة الشرقية بيروت

٢)الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناثاي ري، وج.أو .أرمسون، ترجمة فؤاد كامل، ص١١٥

الأخلاقية، (فجمهورية أفلاطون على سبيل المثال: قد تعد بناء في نطاق الفكر، لمجتمع عادل كامل في عدالته، أوقد تعد تحليلا لفكرة المجتمع العادل.كما أن أجزاء كبيرة من "أخلاق"أرسطومعنية بتحليل أفكار مهمة من قبيل "الفعل الإرادي"و"الفضيلة"و"الرذيلة"و"اللذة"وغيرها)[١].وفي العصر الحديث في منهج التحليل مدارس رئيسية ثلاثة:

١-مدرس التحليل التعريفي (ج.أ.مور):

عند مور تتضمن كلمة التحليل ذاتها: تفتيت الصورة المركبة.التحليل نوع من التعريف، مدرسة السعي إلى الوضوح وتحليل الأفكار والقضايا، والالتزام بمعتقدات الإدراك الفطري، وفحص فرضا عن الميتافيزيقا "ما وراء الطبيعة" كان يميل إليه الفلاسفة المثاليون، هو(حقيقة العالم شيء خفي مباين كل المباينة، لما نظنه عنها، ولا يمكن الكشف عنها، إلا ببحوث عميقة، تجري بلغة اصطلاحية جديدة)[٢].طريقة التحليل(تتضمن أن نستبدل

بالتعبير الذي هوفكرة مركبة، تعبيرا أطول منه، يكشف عن العناصر، التي كانت خافية في الصورة المركبة)[٣]

٢-مدرسة البحث عن الحقيقة الميتافيزيقية"رسل"

طريقة التحليل عند رسل هي نفس طريقة مور، استبدال ألفاظا معرفة بألفاظ غير معرفة، لكن الغاية اختلفت، فمور سعى إلى التوضيح، بينما حلل رسل الوقائع للوصول للحقيقة الميتافيزيقية، وبين أن اللغة العادية أداة، قد لا تصلح للكشف عن

١) المصدر نفسه: ص١١٥
٢)المصدر نفسه: ص١١٦
٣)المصدر نفسه: ص١١٦

الحقيقة، والتعبير عنها، وأن معتقدات الإدراك الفطري قد تكون كاذبة.أراد أن يصف الكون بوصفه ميتافيزيقيا وصفا شاملا، فجاء نقيض وصف المثاليين فقد (زعموا، أن ليس ثم ما هو حقيقي تماما، سوى الحقيقة الكونية، من حيث هي كل"المطلق"، وليست الأشياء الجزئية، إلا تجريدات من هذا الكل، فمن حيث هي كذلك ليست حقيقة، إلا بصفة جزئية، أو أنها ليست حقيقة على الإطلاق)[١]

أما صورة العالم عند رسل فمكونة(من وقائع ذرية، في مقابل كل منها، قضية ذرية تصدق عليها تأمل قولنا: "إما أن تمطر السماء ، وإما أن تنزل ثلجا" فالذي يجعل هذه القضية صادقة ليس هو تطابقها مع واقعة فيها بديلان، إما المطر، وإما الثلج، بل إنها صادقة، إذا صدق أي من جزئيها الذريين، اللذين تتألف منهما"السماء تمطر، والسماء تنزل ثلجا")[٢]

٣- مدرسة حذف الميتافيزيقا "الوضعيون المناطقة"

في مدرسة الوضعين المناطقة، الفكر واللغة شيء واحد، تتحد فيهما لغة العلم، دون انفصال، بحيث يعدان غاية قائمة بذاتها.الميتافيزيقا بأسرها لديهم(لغوأجوف، وصبوا اهتمامهم على إقامة حد حاسم بين الميتافيزيقا والعلم الطبيعي.ومهمة التحليل الأولى عندهم هي حذف الميتافيزيقا، ومهمته بعد ذلك هي توضيح لغة العلم)[٣] وهذه المدرسة رفضها الفكر الإسلامي لأن أساس مبادئه هوالإيمان بالله، وما كلف به المسلمين من الاعتقاد بالغيبيات، أي أن جوهر الدين الإسلامي هوالإيمان بما وراء الطبيعة "الغيب"

---

١) المصدر نفسه: ص١١٧

٢)المصدر نفسه: ص١١٧

٣)المصدر نفسه: ص١١٨

الفرق بين رسل والوضعيين المناطقة: (أن رسل لم يزعم، أن الموضوعات التي حذفها منهجه التحليلي، غير موجودة بالمعنى المألوف للوجود، كل ما هنالك، أنها لم تكن أولية من الوجهة الميتافيزيقية، فالماء موجود، لكنه لما كان مركبا من الأكسجين والأيدروجين، فليس هوجزءا من المقومات الأولية للكون، يدل على هذا، أن كلمة "ماء"يمكن أن تستبدل بها(يدr أ))[1].بلوغ الحقيقة الميتافيزيقية عند الوضعيين ليست محالة فقط، بل غاية باطلة، وتحليلهم لبعض الألفاظ التي يستعملها علماء ما بعد الطبيعة ونظرياتهم، التي تعد فيها هذه الألفاظ لغوا، ينبغي استئصاله بما في ذلك ذرية رسل، واتخاذ غاية أخرى للتحليل.

طريقة التحليل.عند مور ورسل، (استبدال "تعبير"(كلمة أوعبارة أوجملة) بتعبير آخر، فقد كان المنهج لغويا..أما عند الوضعيين فالهدف والمنهج يتقاربان لأن "الأفكار" و"الوقائع " كليها محرمان لكونهما من الميتافيزيقا)[2]

القواعد التي تطبق في تحقيق المخطوط

أولا قواعد القرآن الكريم

١-أسلوب القران الكريم وما به صار معجزا، أن يأتي المحقق بأفصح الألفاظ متضمنا لأصح المعاني التي توحد الله عز وجل، وتنزه في كل صفاته، وتدعوإلى طاعته، وتبين منهج عبادته، من تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ووعظ وتقويم وأمر بمعروف

١) المصدر نفسه: ص١١٨

٢) المصدر نفسه: ص١١٨

ونهي عن منكر، وترشد إلى مكارم الأخلاق، وتزجر مساوئها، (واضعا كل منها موضعه الذي لا يرى شيئا أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمرا أليق منه)[١]

٢- تمييز الفرق بين المرادفات، بتعريف الألفاظ، وتبين حقيقة الفرق بذكر ضد كل منهما، فإن عمود البلاغة في القرآن الكريم هو(وضع كل نوع من الألفاظ، التي تشمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى، الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق، الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني، بحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد
الخطاب) [٢]، من هذه الكلمات، التي تتميز بخاصية عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعض بعضها.

المعرفة والعلم: تجتمع المعرفة مع العلم، إذا أردت الإثبات الذي يرتفع معه الجهل، تقول: عرفت الشيء وعلمته، وتفترق المعرفة بأنها تقتضي مفعولا واحدا، مثل: عرفت زيدا ، والعلم يقتضي مفعولين ، مثل علمت زيدا عاقلا(لذلك صارت المعرفة تستعمل خصوصا في توحيد الله تعالى وإثبات ذاته، فتقول: عرفت الله، ولا تقول علمت الله، إلا أن تضيف إليه صفة من الصفات فتقول: علمت الله عدلا، وعلمته قادرا، ونحوذلك من الصفات.وحقيقة البيان في هذا أن العلم ضد الجهل، والمعرفة ضدها النكرة)[٣]

---

١) رسالة بيان إعجاز القرآن: أبوسليمان حمد الخطابي، "ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"، تحقيق محمد خلف أحمد، محمد زغلول سلام، ص٢٨، دار المعارف ٢٠٠٨

٢) المصدر نفسه: ص٢٩

٣) المصدر نفسه: ص٢٩

والحمد والشكر: يشترك في حمد الله وشكره على النعم.يتميز الشكر عن الحمد في معنى الثناء، وإن لم يكن بغير سبق معروف.ولا يكون الشكر إلا على جزاء معروف، مثل: حمدت زيدا وشكرت زيدا.وقد يكون الشكر قولا كالحمد، ويكون فعلا كقوله جل وعز{اعملوا آل داود شكرا}[سبأ: آية ١٣]

تتبين حقيقة الفرق بين الكلمات بذكر الضد، فضد الحمد الذم، وضد الشكر الكفران، وقد يكون الحمد على المحبوب والمكروه.لا يكون الشكر إلا على المحبوب، فنقول الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه

والصفة والنعت: الصفة أعم ، والنعت أخص ، وذلك أنك تقول: زيد عاقل وحليم، وعمر جاهل وسفيه، وكذلك تقول: زيد أسود ودميم، و[عمرو]أبيض وجميل، فيكون ذلك صفة ونعتا لها، وأما النعت، فلا يكاد يطلق، إلا فيما لا يزول ولا يتبدل، كالطول والقصر والسواد والبياض، ونحوهما من الأمور اللازمة.

اقعد واجلس، القعود عن قيام ، والجلوس عن اضطجاع واستلقاء، ويصح اعتبار القيام بالقعود عند المقابلة، فنقول: القيام والقعود كما تقول: الحركة والسكون بلى ونعم، فإن بلى جواب عن

الاستفهام بحرف النفي كقول القائل: ألم تفعل كذا؟فيقول صاحبه: بلى كقوله عز وجل: {ألست بربكم}[الأعراف: آية١٧٢].وأما نعم فهوجواب عن الاستفهام نحوهل، كقوله سبحانه: {هل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم}[الأعراف: آية ٤٤][1]

لكل هذه الدقائق والأسرار البلاغية والفتوحات الربانية التي اختص الله بها من يشاء من عباده، تهيب كثير من السلف الصالح تفسير القرآن.وتركوا القول فيه حذرا أن يزلوا فيذهبوا عن المراد.ونرى في عصرنا الحاضر، من يتجرأ على تفسيره، بغير

١) المصدر نفسه: ص٣١

علم ولا تقوى، يطوع النصوص بخلاف مقصودها، لهوى في نفسه، غير مبال بأي عاقبة إلا شهرته، أنه من أصحاب التجديد

٣- معرفة التضمين في الكلام، وكله إيجاز استغني به عن التفصيل، وهوعلى نوعين إما في اللفظ وهوعلى وجهين: (تضمين توجبه البنية وتضمين يوجبه معنى العبرة من حيث لا يصح إلا به، ومن حيث جرت العادة)[١]الذي توجبه بنية الكلمة، كالصفة بعلوم يوجب من وجود عالم، وكالصفة بحادث يوجب بوجود محدث، والتضمين الذي يوجبه معنى العبارة، كالصفة بقاتل يتضمن وجود مقتول.والتضمين في الدلالة أيضا على وجهين:

-ما يدل عليه الكلام في دلالة الإخبار، كذكرك الشيء بأنه محدث، فهذا يدل على المحدث دلالة الإخبار

-وما يدل عليه في دلالة القياس: فهوإيجاز في كلام الله عز وجل خاصة.لأنه تعالى لا يذهب عليه من وجوه الدلالة.فنصبه لها يوجب أن يكون قد دل عليها من كل وجه يصح أن يدل عليه.وليس كذلك سبيل غيره من المتكلمين بتلك العبارة، لأنه قد تذهب إليه دلالتها من جهة القياس ولا يخرجه ذلك عن أن يكون قد قصد بها الإبانة عما وضعت له في اللغة من غير أن يلحقه فساد في العبارة [٢]

كل آية من آيات القرآن الكريم لا تخلومن تضمين(لم يذكر باسم أوصفة، فمن ذلك "بسم الله الرحمن الرحيم" قد تضمن التعليم لاستفتاح الأمور على التبرك به والتعظيم

١) المصدر نفسه: ص١٠٢
٢) المصدر نفسه: ص١٠٢

لله بذكره.وأنه أدب من آداب الدين وشعار المسلمين، وأنه إقرار العبودية واعتراف بالنعمة التي هي من أجل النعم، وأنه ملجأ الخائف: ومعتمد للمستنجع)[١]

٤-معرفة علم البيان ومراتبه، قال تعالى{الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان}[الرحمن: آية ١-٤]وحسن الكلام على مراتب: أعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد.وحتى يأتي على مقدار الحاجة، فيما هوحقه من المرتبة)[٢]

ثانيا قواعد المنطق

قال الغزالي عن قواعد المنطق: (من لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا)[٣].صحة المقدمات في المنطق تؤدي إلى صحة النتيجة، به قواعد تبين العلاقة بين الأفكار ونتائجها، واستخلاص المبادئ العقلية العامة التي تنظم الفكر، وتحليل التراكيب اللغوية، واختيار الألفاظ المستعملة بدقة، ودلالتها على معانيها من حيث التطابق أوالتضمين أواللزوم. فقواعد المنطق جرس إنذار وضعه الله في عقول الناس يدق، لظهور الحق وتجنب الباطل، وتعلم الباحث أن قصد الحق مباشرة أكثر ما يجذب الناس ويشد انتباههم.بقواعد المنطق يقيس الباحث العلاقة بين المقدمات المنطقية وبين المقترحات والأفكار، لتوضيح مدى التوافق أوالتناقض

العقل آلة التفكير اختص الله به الإنسان وحده، يتساوى في وجوده الجميع، لكن تتفاوت

١) المصدر نفسه: ص١٠٣
٢) المصدر نفسه: ص١٠٧
٣) المستصفي في علم الأصول: أبوحامد الغزالي، ٢٠/١

قدراته وحدته بين الجميع أيضا، فقواعد المنطق في فطرة الإنسان لا يرفضها إلا بليد الذهن عديم البصيرة، تقر بوجود الله وتعلنها صراحة، أن كلمة الله منطقية راسخة في العقل توجه الخلق للعمل بقواعد ومبادئ المنطق، ولا تأمرنا بما ينافيه

اكتشف أرسطوقوانين المنطق القائمة والمغروسة في فطرة الإنسان، قواعد ضرورية للفكر الإنساني الصحيح، للتواصل الهادف بين الناس، ووضح مبادئ المنطق التي وضعها الله ليهتدي بها الناس إلى الحق، فقد هدى الله الناس السبيل ولم يتركهم ضالين، وأنزل إليهم قرآنا، يحث على التفكير، آياته محكمات، جامعة مانعة، لفظ الجلالة فيها يفهمه الجميع، ظاهر جلي، أوضح ما في الوجود، يتفق عليه الجميع {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ }[سورة الزمر: آية٣٩]، والشرط الضروري للفهم، لأن كلمة الله(هي اسم للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصفات)[١]هي أساس أي معرفة، فالله سبحانه وتعالى(هوأعرف المعارف)وكلام الله في القرآن الكريم تضمن قواعد المنطق، الوسيلة الصحيحة والضرورية لاكتساب المعرفة في كل علم

ثالثا مبادئ العلوم

١-توضيح أن العلاقة بين القرآن الكريم والعلم علاقة اتفاق لا علاقة تعارض وتناقض، والقرآن يدعوإلى الاجتهاد والحرص على التعليم، ويرفع من قدر العلماء، ويظهر الكثير من الحقائق العلمية والظواهر الطبيعية التي تم اكتشافها بعد ذلك.مع شرح أن الترجمة لبعض النصوص القرآنية التي لها ارتباط بحقائق علمية كانت على

١)شرح الولدية في آداب البحث والمناظرة: عبد الوهاب بن حسين الآمدي، ص٣، ط الأخيرة، الحلبي١٩٦١م

نحوخاطئ أعطي لبعض العلماء الفرصة لنقده، فيبين الباحث أن ذلك من سوء الترجمة، وليس لوجود خطأ في نص القرآن

٢- إظهار أن دين الإسلام دين سماوي، أنزله على نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، أمره بتبليغه كما أمر كل الأنبياء قبله، وأن القرآن الكريم كلام الله كتاب مقدس أوحى الله به إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، كما أنزل من قبل لليهود والنصارى التوراة والإنجيل، على نبيا الله موسى وعيسى عليهما السلام.توضيح أن القرآن الكريم وحي الهي "نص مقدس"، لا يجوز مخالفته، وحجة أن خليفة المسلمين عمر بن الخطاب"رضي الله عنه" خالفه بشأن المؤلفة قلوبهم، ولم يعطهم ما كان يعطيهم النبي صلى الله عليه وسلم وأبوبكر الصديق "رضي الله عنه" من بعده.أن خليفة المسلمين عمر لم يعطهم لزوال صفة المؤلفة قلوبهم، فقد بحث عمر بن الخطاب عن هذه المعاني فلم يجدها،لأن معنى التأليف سهم من الزكاة لضعاف الإيمان، تألفا لقلوبهم وقت ضعف الإسلام وضعف عقيدتهم

٣-أصبحت فلسفة اللغة في العصر الحديث هي موضوع الفلسفة المعني بمعالجة القضايا ضمن شكل لغوي صحيح، يتيح للعلماء توضيح غموض الأقوال، وإزالة ما يلحق بها من سوء فهم.فمحاولة خلق لغة مثالية واضحة، هوأحد قضايا الفلسفة الكبرى

٤-الاهتمام بالتأويل وطرقه المتعددة والممكنة وملاحظة الفرق بين هذه الطرق بهدف استدعاء قيما منسية، أوكسب معاني لمفردات، لها معنى مزدوج، تحيل الباحث إلى معنى مستتر، يفتح للإنسان مجالا أرحب للتفكير.والاهتمام بالتأويل النفسي للأحداث الذي اعتنت به آيات القرآن الكريم{عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ}[سورة المزمل: آية٢٠] {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا}[سورة الأنفال: آية ٦٦]

وفي التأويل التاريخي يستحضر الباحث مسيرة الأحداث، ويبادل الماضي بالحاضر ، والحاضر بالماضي، بما يماثل الحوار، لتوضيح الحقيقة واستحضار كل أسباب ونتائج الأحداث وتقويها، وما كان سببا للنجاح، كيف يتم تطبيقه، وما كان سببا للإخفاق ما هي وسائل اجتنابه؟ بذلك يكسب الباحث الأحداث بالمسافة التاريخية معنى جديدا

٥-يراعي الشارح أن النص يتميز باستقلالية الدلالة واتساع المعني، وعليه مراعاة الفارق الزمني.قد يكون في النص عناصر وأفكار يمكن تطبيقها في مواضع غيرها بما يمكن للجميع اتساع المعرفة.ويظهر الشارح ما أضافه للنص من فهم جديد لما يحدث حوله من مستجدات

٦-تتبع مسيرة الفهم لاكتساب معنى جديد من خلال، جريان حكم الكل على الجزء ، وعلاقة الجزء بالكل، واعتبار الأحكام التي تناولت كلية المعنى أحكاما ضرورية، قابلة للشرح والتوضيح، ومتى يطبق الكل فقط، أوالجزء فقط ، أوالكل والجزء معا، بما يوضح أن عدم المساواة أحيانا قد يكون عدلا.ففرض الحرب على الجميع وقت الزحف "كل" لابد من فرض تعلم الفقه على البعض وقت الحرب "جزء"، تعلم العلم على الخصوص يكفي فيه الجزء، معرفة الأحكام العامة للعقيدة الإسلامية واجب على الكل

نقد المجتمع نقدا فلسفيا، ودراسة ما جد عليه من تغيرات فكرية واجتماعية، وإحالة الإنسان إلى ما خلق له {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[سورة الذاريات الآية: ٥٦]، ومهمته الأساسية في الحياة، واستدعاء نشاطه الفطري الذي أوهنته ثقافة الحاضر.ودراسة جملة العناصر التي تكون فيما بينها علاقات معينة، ومدي تأثير كل عنصر على هذه العلاقة، وأن أي تغير في أي عنصر من عناصر الموضوع،

سيؤدي إلى تغيير في بقية العناصر أوفي العلاقة ككل، أي في أساس الفكر الإنساني

٧-تطوير الأفكار بمنظور علمي، بالبحث عن هدفها الكامن، وما هي تداعياتها، وما هوتأثيرها على المتلقي، ومدى استيعابه لها وما يترتب عليها من نتائج عملية، تصب في مصلحة المسلمين.كما في تحليل لمواجهة السلطة المستبدة، هدى فكر العز بن عبد السلام إلى أن هؤلاء الأمراء مماليك، فحكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، ويجب شرعا بيعهم كما يباع الرقيق.وفي تحليل لمواجهة مانعي الزكاة، أعلن أبوبكر الصديق "رضي الله عنه" الحرب عليهم، باستحضاره حقيقة الزكاة، فهي ركن من أركان الدين، وليست إتاوة كانوا يدفعوها للنبي "صلى الله عليه وسلم"

وفي تطور وسائل الاتصال وشبكات الانترنت سيجعل من السهل معرفة معلومات مغلوطة عن الدين الإسلامي، ويجعل أيضا من السهل تصحيح هذه المعلومات، بما يحدث القربى بين الجميع ، ويعلم الجميع أننا نعبد إله واحدا، هوالله "سبحانه وتعالى"، أرسل جميع الأديان السماوية

٧-تحقيق النصوص بناء على الكليات الخمس التي اهتم بها الجميع، وجاءت جميع الأديان السماوية للحفاظ عليها.وفي مضمونها حماية حقوق الإنسان السيف المسلط على رقاب البلاد الضعيفة، تبتز بها لكي تنصاع لما يملى عليها من أوامر.فيبين الشارح أن مقصود الشارع أن يحفظ للناس(دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم؛فكلّ ما يتضمّن حفظ هذه الأصول الخمسة فهومصلحة، وكلّ ما يفوت هذه الأصول فهومفسدة، ورفعها مصلحة.وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح)[١]

١) المستصفي: أبوحامد الغزالي، تحقيق محمد عبد السلام، ١/١٧٥

الكليات الخمس مقاصد ضرورية لقيام مصالح العباد، هي "حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال" نص عليها كل دين، معونات أعطاها الله للإنسان تمكنه من القيام بواجباته كخليفة لله في الأرض.فعلى الدين يترتب الجزاء ولا جزاء إلا على مكلف، ومن شروط التكليف وجود نسل صاحب عقل، ولبقاء النسل لابد من حفظ النفس ولتمكينها من العيش لابد من المال(وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها يستحيل أن لا تشتمل عليه ملة من الملل وشريعة من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق، ولذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقة وشرب الخمر)[1]

قال الله وقوله الحق: {لا إكراه في الدين}[البقرة: آية٢٥٦]أما حجة أن مفهوم الجهاد في الإسلام هوتجسيد للإكراه، فلم يبتدع المسلمون الجهاد، بل فعلوا مثل ما فعل النصارى لنشر المسيحية، فبذلوا الجهد لنشر الإسلام، ورفع رايته، والدفاع عنه، وتأمين أتباعه، مثلما يطالب المسيحيون ببذل الجهد لنشر المسيحية والدفاع عنها.ولم يأمر الإسلام بإبادة المخالفين في الدين ومحوهم من على وجه الأرض، ولم يجبر أي فرد على اعتناق الإسلام، بل عزم أن تفرض حقوق الله وحقوق الإنسان في مشارق الأرض ومغاربها، ليختار كل إنسان ما يشاء من دين.وأعمال العنف التي ظهرت في بعض الحروب، خضعت لقوانين الحرب، ولم يرتكبها المسلمون، بل التاريخ يشهد أن في الحروب الصليبية كان يلقى بالمسلمين في المحارق

١) المصدر نفسه: ١/١٧٥

حفظ الدِّينَ هو المقصود الأعظم والأساس الذي تقوم عليه باقي الضَّروريات، وقد شرع الجهاد لأنه(بذل النفس من أجل إعلاء كلمة الدِّين)[1]، وضرورة حفظ النفس لأنها محلٌّ ورود الأحكام.وحفظ النفس، بمشروعية القصاص والقتال، حفظ العقل بمشروعية حد شرب الخمر؛لأن العقل مناط التكليف، لقدرته على الفهم هوقوام كل فعل،وحفظ المال بمشروعية حد السرقة، وحفظ النسل؛بمشروعية حد الزنا .

١) المصدر نفسه: ١/١٧٥

الفصل الثاني
تطبيق للتعامل مع التراث

التكفير: من الكلمات التي اتسع مفهومها ليس في العصر الحالي فقط، بل في عصور سابقة، كلمة التكفير، كثر ذكرها في مواضع مختلفة.فقد يكفر الجميع بها الجميع، يكفر بها على الذنب الكبير أوالصغير، ويكفر بها على المذهب، ويكفر بها على الدين.ويكفر بها على أمور لا تستوجب أكثر من العصيان أوالتبديع، ويكفر بها على الهفوات.وكثيرا ما تستخدم لقصد الفتنة وزرع النزاع بين (الناس)، وصب غضب الناس على من اتهم بالكفر

الكفر في اللغة: فقد الإيمان.ويقال كفر بالله.وفي القرآن الكريم{كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم }[سورة البقرة: آية٢٩]كما يقال: كفر بنعمة الله، وكفر نعمة الله.وبالأمر: تبرأ منه.والشيء، وعليه كفرا: ستره وغطاه.فهوكافر (كفّر)عن يمينه: أدى الكفارة.أوقال له والله كفر عنه الذنب غفره.والكافر من لا يؤمن بالله [١]

والكفر في الاصطلاح كما قال الإيجي: هوخلاف الإيمان، فهوعندنا عدم تصديق الرسول في بعض ما علم مجيئه به ضرورة[٢]

١)المعجم الوسيط: ص٥٣٧

٢)المواقف: عضد الدين الإيجي، ص٣٨٨

المبحث الأول

حكم اختلاف الدين، أوالمذهب

حكم من على دين اليهود والنصارى؟ليس من الضروري أن يقر المسلمون بأن من ليس على دينهم "مؤمنون"–مادمت جازما بحقيقة دينك، فلا تراعي رأي الآخرين، ولا تعبأ بهم– .وكأنه لا فرق بين مؤمن ومؤمن، ولا بين دين ودين.في منهج التحليل، اليهود مؤمنون باليهودية، والنصارى مؤمنون بالمسيحية، والمسلمون مؤمنون بالإسلام، والدين عند الله الإسلام، وهناك فرق بين دين وإيمان اليهودي، وبين دين وإيمان المسيحي، وبين دين وإيمان المسلم، وفوق كل ذلك "رحمة الله واسعة"

من نعم الله على المسلمين، أن الإيمان والتصديق بكل الأنبياء السابقين وكتبهم، من أركان الإيمان في الدين الإسلامي.عند الاحتفال بعيد السيد المسيح "عليه السلام" يحتفل المسلمون بنبي من الأنبياء، وليس بميلاد إله، لأن من ثوابت الدين الإسلامي "أن الله لم يلد.ولم يولد.{ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [سورة الصمد]لأن هذه الصفات جميعا تعني الاحتياج، والله هوالغني عن العالمين.

وإذا دخلت الإسلام فقد رضيت ميثاقه، وصرت ملزوما بأحكامه، تطبق عليك حدوده، فمن أظهر شعار الدين أجريت عليه أحكامه، ما لم يظهر منه خلاف ذلك.ومن على غير دين الإسلام، تحفظ له حقوقه، ويحكم له بالعدل، ويوجب الإسلام على ولى أمر المسلمين، أن يتعهد برعاية مصالحه، كما وصى الله "سبحانه وتعالى" النبي "صلى الله عليه وسلم"، بقوله تعالى: {إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيما} [النساء: آية ١٠٥] فقد نزلت هذه الآية الكريمة في رجل(اسمه طعمة بن أبيرق– أحد بنى ظفر– سرق درعا من جار له أسمه قتادة ابن

النعمان في جراب دقيق.فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه.وخبأ طعمة الدرع عند رجل من اليهود اسمه زيد بن السمين.فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها، وماله بها علم.فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها.فقال اليهودي: دفعها إلى طعمة وشهد له ناس من اليهود. فقالت بنوظفر – أقارب طعمة–: انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصلوا إليه سألوه أن يجادل– أي يدافع– عن صاحبهم طعمة وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح وبرىء اليهودي. فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل وأن يعاقب اليهودي.وقيل هم أن يقطع يده)[1].عقد النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود المعاهدات، ووقف لجنازة يهودي، (وقال أليست نفسا)[2]، وذلك كله تطبيق عملي لنشر السلم والأمان بين الناس جميعا

مرتكب الكبيرة عند الخوارج

أركان الإسلام: تصديق بالقلب، ونطق الشهادة باللسان، وعمل، تنفيذ أوامر الشريعة من أمر ونهي بالجوارح.التصديق بالقلب ونطق الشهادة ركنان لا خلاف فيهما بين العلماء، أما العمل ففيه خلاف البعض جعله شطرا "جزء" من الإيمان، والبعض جعله شرطا للإيمان، فهوكلام يقبل التفسير بمعاني متعددة، وما فيه خلاف بين العلماء، لا يكون حكمه الخروج من الملة، فمن ارتكب ذنبا يوجب حدا، حكمه "مسلم عاصي "عصى أمرا من أوامر الله، ليس بكافر

١) أنظر أسباب النزول: أبوالحسن الواحدي، ص٣٦١، دار الكتب العلمية ٢٠٠٠
٢) صحيح البخاري (كتاب الجنائز)باب من قام لجنازة يهودي (١٢٥٠)

يبني الخوارج مذهبهم على الآية الكريمة(إن الحكم إلا لله)[سورة يوسف: آية٤٠] ومع تعدد فرقهم يجمعهم(إكفار علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين، ومن رضي بالتحكيم أوصوب الحكمين أوأحدهما، والخروج على السلطان الجائر)[١]

تتداعى هذه الأفكار عند الخوارج، إلى تحريمهم وإبطالهم أي اتفاقات أومعاهدات بين الناس، وكل اتفاق عقده علي مع معاوية "رضي الله عنهما" باطل.ما فعله الخوارج، خروج عن طاعة الحاكم، وهوأيضا باطل.قد يؤدي تداعي هذه الفكرة إلى إلغاء أي قانون، وإبطال كل نظام، أي تبطل كل الجهود الإنسانية في المعاملات المباحة.الاتفاقات التي يعقدها الحاكم أمر مباح، لا يحكم عليها بالحل أوالحرمة، يسيرها ولي الأمر حسب مصلحة المسلمين، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم.لا تعيش المجتمعات بأحكام الشرع وحده، بل أيضا بما اتفقوا عليه من عرف، والتقاليد المبنية على العرف في المجتمعات، لا يستطيع أن يتجاهلها إنسان، وإلا سفه من قومه، وصبت عليه الملامة والتأنيب والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب، والذي له سموا محكمة إنكارهم للحكمين وقولهم (إن الحكم إلا لله)، والذي سموا له حرورية نزولهم بحروراء في أول أمرهم والذي له سموا "شراه" قولهم: شرينا أنفسنا في طاعة

الله أي بعناها بالجنة[٢]كيف يكون من شعاره "لا حكم إلا لله"؟! يفعل ما فعله بصحابي رسول الله "صلى الله عليه وسلم" عبد الله بن خباب "رضي الله عنه".قالوا له(حدثنا ما سمعت من أبيك فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله "صلى الله عليه وسلم" يقول: "ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير

١) الفرق بين الفرق: أبومنصور البغدادي، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ص ٧٣، دار الطلائع
٢) مقالات الإسلاميين: أبوالحسن الأشعري،تحقيق نواف الجراح، ص٨٣، دار صادر بيروت

من الساعي"وجاءوا إلى امرأته فقالت: إني امرأة حبلى، ألا تتقون الله، فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها)[1]

وانظر موقف من خرجوا على حكمه وقاتلوه واستحلوا دمه، ، الإمام علي بن أبي طالب"كرم الله وجهه"، عندما سُئل عن الخوارج، "أهل النهروان"، الذين كفروه: أمشركون هم؟ فقال: من الشرك فروا، قيل: أمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، فقيل: فما هم يا أمير المؤمنين ؟ قال: إخواننا بغوا علينا، فقاتلناهم ببغيهم علينا [2]

ومهما يكن القول الصحيح الثابت عن علي "رضي الله عنه "في الخوارج، بأنهم "قوم بغوا علينا"، أوإخوة، أوإخواننا بغوا علينا، إلا أنه لم يصفهم بالشرك ولا بالنفاق، واعتبرهم إخوة بغوا عليه وعلى أصحابه، وليس البغي كالشرك، فقد يوصف المسلم بالبغي، أي التعدي ومجاوزة الحد، ولا يوصف بالكفر، آي انكار ركن من الدين ، أومعلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى: { وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ}[الحجرات آية ٩]

حكم من قال بخلق القرآن ؟

بتحليل قضية "خلق القرآن": تعريفها فتنة لحل جماعة المسلمين، استجاب لها بعض عامة الناس، واختلف فيها العلماء.مثيرها رجل اطلع علي علوم الفلاسفة، يؤيد ذلك مصطلح مخلوق أوغير مخلوق"حادث وقديم"، لم يكن متعارف عليه عند العرب في

١)البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير، ٣١٨/٧، دار الفكر ١٩٨٦

٢) المصدر نفسه: ٣٢١/٧

ذلك الوقت، نتائجها أثرت بالسلب علي الفكر الإسلامي والمسلمين، تداعياتها: معنى أن القرآن غير مخلوق أنه محفوظ بحاله إلى يوم تقوم الساعة، مكلف بتنفيذ أوامره جميع الناس.ومعنى خلق القرآن أن يطرأ عليه كل ما يطرأ على أي مخلوق من التغيير والتبديل والتحريف والقصور والجمود والموت.فتصدى أهل السنة لهذا القول، مدافعين عن الدستور والميثاق والمرجعية التي يعود إليها المسلمون عند الاختلاف أوحدوث الفتن.وبتركيب كل هذه الأمور، نرى أن الذي لا خلاف عليه، أن القرآن الكريم كلام الله، باق ببقاء الله، والله قادر أن يحفظه من تبديل حروفه، أوتحريف معانيه{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[سورة الحجر: آية٩]

تلقى خالد القسري والي خرسان من الخليفة الأموي هشام بن عبد المالك خطابا يأمر فيه بقتل الجعد بن درهم، (صادف ذلك أيام عيد الأضحى، فلما صلى خالد العيد وخطب، قال في آخر خطبته: انصرفوا وضحوا بضحاياكم، تقبل الله منا ومنكم، فإني أريد اليوم أن أضحي بالجعد بن درهم، فإنه يقول: ما كلم الله موسى تكليما، ولا اتخذ إبراهيم خليلا، تعالى الله عما يقول علوا كبيرا، ثم نزل وجز رأسه بالسكين)[١]

نفى الجعد عن الله عز وجل الصفات، فقال لم يكلم الله موسى عليه السلام في القدم، بل بكلام حادث، ولم يتخذ إبراهيم خليلا في القدم بل في زمان حادث، أوأنكر أن يتجلى ويتجسم لموسى كما هوفي فكر اليهود(يقال أن الجعد أول من تبنى فكرة نفي الصفات الإلهية، فنفى الكلام عن الله تعالى، وزعم أن الله يكلم الله موسى تكليما)[٢] وتبنت المعتزلة نفس الفكرة، لكن ذبح الجعد، وأعلن الاعتزال مذهبا وعقيدة

١)انظر التفكير الفلسفي في الإسلام: عبد الحليم محمود ٢٠٣/١، مكتبة الأنجلو١٩٥٥
٢)رسالة الفرقان بين الحق والباطل، مجموعة الرسائل الكبرى: ابن تيمية ١٣٢/١

للدولة الأموية.وأيضا قتل القسري، فمن قتل يقتل، وابحث في ذلك عن الأسباب السياسية، وليس الدينية، وإلا لقتل علماء المعتزلة أيضا

إن القول بقدم القرآن الكريم أوخلقه، من الأمور التي لم يفصل الله فيها القول، وليست من أركان الدين، وتعتبر من الأمور النظرية، التي تتنوع فيها الآراء، كل على حسب فهمه آيات القرآن، ورأيته لصفات الله تعالى، فمن أثبت لله صفات المعاني، التي تضيف لله معنى زائد عن معنى الذات، فإن صفة الكلام لديه، تنقسم إلى الكلام النفسي القائم بذات الله وهوقديم ، والكلام اللفظي المعبر عن الكلام النفسي القديم، المتلوباللسان والمكتوب في المصاحب، فهومخلوق

ما حكم من قال "أنا الحق"، أو"أنا هو" ؟

كل ما جاء في الأثر من قول القائل("أنا من أهوى ومن أهوى أنا"، "وما في الجبة إلا الله")فهذا كله وما شاكله وماثله عند العلماء، إما فتحا، أوشطحا(القول فيه واحد، لأنها وإن اختلفت ثمارها وتنوعت أزهارها، لكنها تسقى بماء واحد، تشير إلى محوالاثنين، ثبوت الواحد، فقوم تلقوه بالتسليم وقابلوه بالقلب السليم)[١].يفسر العلماء هذه الشطحات الصادرة عن المتصوفين بثلاثة أمور[٢]:

- إما وقعت منهم في حال السكر والغيبة بوردات الأحوال
- أوالاعتذار عنهم بصدور ذلك منهم على سبيل الحكاية عن الله سبحانه
- أوالاعتذار عنهم بالأمر، أعني بأن من الشطح المذكور، ما أمروا به فصدر عنهم امتثالا للأمر، ويكون ذلك الأمر تنويها بفضلهم، وبيانا لعلوشأنهم، وتعريفا للجاهل بعلوقدرهم

---

١)زبد خلاصة التصوف: العز بن عبد السلام، تحقيق أحمد السايح، ص١٠، ط١

٢) أنظر نشر المحاسن الغالية: أبومحمد اليافعي، تحقيق إبراهيم عوض، ص٢٨٩، الحلبي

إن كثيرا مما قاله الحلاج وغيره من المتصوفين، وما به من الغموض، يحتاج إلى معرفة جديدة وتفسيرات متعددة، كله يشير إلى محوالاثنين وثبوت الواحد، بأن التأثير الأساس هوالوجود، والله واجب الوجود، أما الماهية فهي المخلوقات كلها، فلا موجود حقيقي إلا الله، الموجود الحق الثابت الأبدي.وتعريف الشطح: (عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى، وهومن زلات المحققين، فإنه دعوى بحق، يفصح بها العارف من غير إذن إلهي، بطريق يشعر بالنباهة)[١]

المتصوف في الإسلام يعرف، أن العلم مقدمة نتيجتها العمل، والعمل مقدمة نتيجتها الحال ، فالعلم والعمل كسبي، والحال وهبي، لا يؤمن بالحلول ووحدة الوجود، بل يقوم إيمانه على الحب الإلهي، والكشف عن الحقائق وراء الظواهر، كما تعلم من القرآن الكريم، **{ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}** [سورة ق: آية١٦].فالعبد في قربه لله ثلاث مراتب(: الأول قرب الأبدان وهو العمل بالأركان، الثاني قرب القلب وهو التصديق والإيمان، والثالث قرب الروح بالتحقيق والإحسان)[٢]وبالتحقق يعلم الصوفي أن الوجود الحقيقي هو وجود الله، هو أقرب إلى الإنسان من نفسه، لأنه قائم في كل مكان يصل إليه كائن(وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)[٣]

آمن الصوفية بالله حبا فيه، لا طمعا في الجنة، أوخوفا من النار.الصوفي الحق لا ينتهي إيمانه إلى إسقاط الشريعة، وترك التكليف، لأن الحقيقة عنده لا تنقض الشريعة،

١) التعريفات: الشريف الجرجاني، ص١١٢

٢) زبد خلاصة التصوف: العز بن عبد السلام: ص١١٨

٣) صحيح البخاري :(كتاب الرقاق) باب التواضع(٦١٣٧)

بل تتممها، وتكشف ما استتر من حكم، وتظهر ما خفي من أسباب ظواهرها.فيعلم المسلم أيضا أن الفرق بين عالم الظاهر وعالم الباطن، أوعالم الحقيقة وعالم الشريعة، لأنه يقرأ مثلا واضحا لهذا الفرق فيما كان من الخضر وموسي عليهما السلام{**إنك لن تستطيع معي صبرا.وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا**}[سورة الكهف: آية٦٧، ٦٨]

يقرأ المسلمون جميعا هذه الآيات البينات في القرآن الكريم، (بينهم أناس مطبوعون على التصوف، واستخراج الأسرار الخفية، والمعاني الروحانية من طوايا الكلمات، وهذا آية الأدب من الخضر، لأنه علم أنه بدا منه مالا تقره الشريعة، فقال: "إنك لن تستطيع معي صبرا" على ما يخالف الشريعة، ثم أعلمه الخضر بما لم يدخل في علم الشريعة.علم موسى عليه السلام أن الشريعة جسد والحقيقة روحها، وإذا لم يكن للشريعة سفينة غرق ملاحها)[1]

يقر العز بن عبد السلام فقيه عصره: حدوث الفناء بكل تفاصيل حدوثه مع الحلاج، فذكر في قول"لا إله إلا الله"أن الحق سبحانه جمع فيها(معاني آياته وصفاته، وجواهر حكمه وكلماته، في صدفة كلمة الإخلاص، وأطلع الخواص على ما فيها من الخواص)

خواص لا إله إلا الله: (هي كلمة أولها نفي وآخرها إثبات ندخل أولها على القلب فحلا، ثم تمكن آخرها من القلب فجلا، فنسخت ثم رسخت، وسلبت ثم أوجبت، ومحت ثم أثبتت ، ونقضت ثم عقدت، وأفنت ثم أبقت، فأولها يشير إلى الفناء وآخرها يشير إلى البقاء، فإذا قلت لا إله فقد فني كل شيء، وإذا قلت إلا الله فلم يبقى شيء سوى

١)زبد خلاصة التصوف: العز بن عبد السلام، ص١٠٠

الله.قال الله تعالى: { **كل شيء هالك إلا وجهه**}[القصص: آية ٨٨])[١].يفسر الحلاج قوله "أنا الحق"أنه عرف الله، ببطلان كل موجود دون سيد الوجود سبحانه وتعالى، وذاق حلاوة محبته(ثم نظرت منه إليه: فلم أر إلا هو، فقلت أنا هو، ولئن قلت أنا الحق فما عدلت عن الحق، لأني أنا الحق في محبته، وهوالحق في مملكته، ولئن كان سكري نم على سري، فقد عربد وجدي على وجودي، وجعل حدي محوحدودي)[٢] رأي الغزالي في شطح الصوفية: أنهم سكارى من محبة الله، ذاقوا حلاوة محبته(ومجالس السكارى تطوى ولا تحكى، ومعناه تسلم إليهم أحوالهم، ولا ترد عليهم أقوالهم، لأن كلامهم نطق عن ذوق، وذوق عن شوق، فمن ذاق عرف، ومن لم يذق، لا حرج عليه إذا سلم واعترف)[٣].يشهد فكر المتصوفة رواجا وقبولا لدى الغرب، ويطلقون على الحلاج مسيح المسلمين، لنهاية حياته بالقتل والصلب.لأن الناس يشتركون في المشاعر الإنسانية والروحانيات، لا تنفرد بها أمة من الأمم (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل)[٤]

فبطلان كل موجود دون سيد الوجود سبحانه وتعالى، وحدة الشهود، فناء بالله عن كل موجود، تتجلى للعابد عظمة الله، فتنسيه كلَّ شيء، وتغيِّبه عن كلِّ ما سوى الواحد الذي "ليس كمثله شيء"(هو شهود حقٍّ بلا خلق ، كما أن البقاء هو شهود خلق بحق.فمن عرف الحقَّ شهده في كلِّ شيء، ولم يرَ معه شيئًا، لنفوذ بصيرته من

---

١) المصدر نفسه: ص٨٧

٢)المصدر نفسه: ص١٦٩

٣)المصدر نفسه: ص١٧٤

٤) صحيح البخاري: (٣٦٢٨)، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية

شهود عالم الأشباح إلى شهود عالم الأرواح، ومن شهود عالم المُلك إلى شهود فضاء الملكوت.ومن فَنِيَ به وانجذب إلى حضرته غاب في شهود نوره عن كلِّ شيء، ولم يُثبِتْ مع الله شيئًا)[1]

الصوفي في حال الفناء أوعين الشهود، يشاهد الحق بلا خلق، مشاهدة قلبية مجردة من الأغيار.كثرة الذكر ودوام حضور العقل والمشاعر مع الله تزيد معرفته بمعاني الإلوهية، فيذهل الذاكر بعظمة المحبوب عز وجل عن كل شيء إلا الله.قال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[آل عمران : ١٩١] وهذا ما عبر عنه علي كرم الله وجهه عندما جاءه حبرا (فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟فقال: ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان)[2]وعلي هذا المعنى يؤول قول الحلاج أن الموجود هوالحق سبحانه وكل ما سواه باطل.كل ما سوى الحق عن نظره معدوم، فنيت نفسه عن نظره، ولم يبقَ موجود غير الله

إذا كان من قول المتصوفة "من ذاق عرف" فالأوضح من هذا القول "ليس كل ما يعرف يقال"، فمن المعروف أن عقول العباد تتفاوت في الإدراك والاستيعاب، فما يستوعبه العلماء لا يستوعبه عوام الناس، ولكل مقام مقال، فما يقال في مقام التعليم لا يقال في مقام العبادة

١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم: أبوعطاء الله السكندري، شرح ابن عجيبة: ص٢٩٦
٢) مسند الإمام علي: السيد حسن القبانچي: تحقيق الشيخ طاهر السلامي، ٣٨١/١

حكم من على مذهب الشيعة؟

كل ما يدور حول الناس في الحاضر من أحداث جسام تنبئ أن شياطين الجن والإنس يمهدون الأرض لحرب طاحنة بين السنة والشيعة، ولا تنسى أن سبب نشأة الشيعة هو الخلاف على أمر سياسي، ويا لا هول خلاف ظاهره مبادئ الدين، وباطنه تحركه السياسة.يجمع الشيعة مع بقية المسلمين قول: "لا اله إلا الله محمد رسول الله"وإذا كان يراود الشيعة إعادة ملك زائل، علم التاريخ الناس أن الدول التي رحلت وغربت شمسها لا تعود.

يجمع السنة والكثير من الشيعة محبة رسول الله محمد "صلى الله عليه وسلم" وأهل بيته الأبرار، وصحابته الكرام.ويحدث الخلاف في بعض فروع الدين، وهذا يحدث بين أصحاب المذهب الواحد ويتقبله الجميع(فإذا جاز أن تكون المذاهب أربعة، فلماذا لا يجوز أن تكون خمسة؟وكيف يمكن أن تكون الأربعة موافقة لاجتماع المسلمين، فإذا زادت مذهبا خامسا تمزق الجميع)[1].هذا الاقتراح يقابله طلبا، أن يتبرأ الشيعة من المغالين الذين أدخلوا أمورا في الدين ما أنزل الله بها من سلطان، في الأقوال والأفعال.

أكثر ما يثير حفيظة المسلمين من أهل السنة وغيرهم، سب الصحابة.هوكبيرة من الكبائر عند الكثير من العلماء، وليس كفرا.وخلل في العقل، وشذوذ في الفطرة، لسبهم ثاني اثنين في الغار وابنته!وقد شرفهما الله وخلد ذكرهما في قرآنيه الكريم.فإذا لم يعد الجميع إلى كلمة سواء، فابحثوا عن السياسة وتطلعاتها، ولن ينتهي الأمر. بل للحوار مرجعية أخرى، على مبادئ فرقة الشيعة الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة،

١)المراجعات: "رسائل بين سليم البشري وشرف الدين العاملي"، ص٤٤، تقديم محمد فكري أبوالنصر، ط٦، مطبوعات النجاح ١٩٧٦

خاصة أن أساس الخلاف هوالإمامة.عند أهل السنة الإمامة مصلحة عامة للمسلمين وليس عقيدة، ويراها الشيعة قضية عقدية، وفيما عدا ذلك يتفق السنة مع الشيعة

قضية الإمامة من أعظم القضايا التي دار حولها الجدل والخلاف بين المسلمين، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، حين اختلف صحابة رسول الله فيمن يخلف النبي صلى الله عليه وسلم ، يكون من المهاجرين أومن الأنصار، ورأى بعض الصحابة رضي الله عنهم أن تكون الخلافة في أهل البيت، وحسم الخلاف بالبيعة لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه، واجتمع المسلمون عليه ومن بعده عمر ثم عثمان ثم عليّ رضي الله عنهم جميعا، في أروع مثال حي لحكم الشورى"الديمقراطية" سواء في اختيار الحاكم، أوفي تطبيق العدل بين الناس، وانتهي الأمر بأن الإمامة من مصالح العباد.لكن القضية تشعبت عناصرها لدى الشِّيَعة، وصارت من أصول الدين، تقوم عليها بقية العقائد، والواجب على كل شيعي الإيمان بإمامة اثني عشر إماماً في مقدمتهم سيدنا عليّ رضي الله عنه وآخرهم محمد بن الحسن العسكري.

الإمامة في اللغة: الأَمّ، بالفتح: القصد، أمه يؤمه أماً إذا قصده، ويممته: قصدته، وتيممته: قصدته، ويحتمل أن يكون الأم أقيم مقام المأموم، أي هوعلى طريق ينبغي أن يقصد[١]

وفي الاصطلاح: لا يخرج معنى الإمامة عن رياسة وزعامة لرجل يخلف النبي لإدارة أمور الدين والدنيا.عند أهلُ السُّنَّة الإمامة من المصالح العامة، ليست ركناً في الدين ولا من أصوله، (وضعت لرجل يخلف النبي ويحرس الدنيا بالدين.الإمامة موضوعة

١)انظر لسان العرب: ابن منظور، باب الهمزة، مادة (أمم)، ص١٣٢، دار المعارف الكبير

لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به)[١]، (هي خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب إتباعه على كافة الأمة)[٢]

تعريف الإمام عند الشيعة: هوتعبير عن مرجع متخصص في أمور الدين، وهوخبير حقيقي به

بحيث لا يداخل معرفته الخطأ ولا يلابسها الاشتباه[٣]يعتقد الشيعة أن الإمامة (أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة)[٤]الإمامة عند الشِّيَعة أصل في الدين، جعلوها في منزلة التوحيد والنبوة.والإمام يجب أن يكون عالماً في أمور الدين، معصوما لا يخطأ، (عندما نريد نحن الشِّيَعة أن نعد أصول الدين انطلاقاً من رؤيتنا المذهبية، نقول: إنها التوحيد والنبوة والعدل والإمامة والمعاد، أي إننا ندخل الإمامة في نطاق أصول الدين)[٥]

١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية: أبوالحسن الماوردي، تحقيق: أحمد البغدادي، ص٣، ط١، مكتبة دار ابن قتيبة، ١٩٨٩

٢) المواقف في علم الكلام: عبد الرحمن الايجي، ص٣٩٥، عالم الكتب بيروت

٣) الامامة: مرتضى المطهري، ترجمة جواد على كسار، ص٩٩، دار الحوراء للطباعة والنشر

٤)عقائد الامامية : محمد رضا المظفر، ص٧٣، مركز الأبحاث العقائدية إيران ١٤٢٢هـ

٥) الإمامة: مرتضى المطهري، ص٩٩

المبحث الثاني

حكم من على مذهب الفلاسفة

بنى الفلاسفة رأيهم بأزلية العالم على أساس أن العدم لا يأتي بوجود، وكان ذلك سببا في حكم بعض العلماء عليهم بالكفر.أزلية العالم تعني أن العالم قديم في التصور الذهني، مرتبط بعلم الله الواجب، والله علة وجود العالم، فلا يتصور علة بلا معلول.الله لم يكن له حال لم يكن فيها فاعلا، فهوواجب الوجود من جميع الحالات، في ذاته وصفاته وأفعاله، فلا تتأخر العلة عن المعلول، وعندما تسأل ابن سينا هل معنى أزلية العالم، الاستغناء في وجوده عن الخالق؟يقرر ابن سينا أن العالم(بالرغم أنه قديم، لم يسبقه عدم، وأن وجوده مصاحب لواجب الوجود بذاته، إلا أنه محتاج في وجوده إلى واجب الوجود، وأن حاجته إلى الله قائمة على حقيقته، إذ هوممكن يحتاج في وجوده إلى واجب الوجود)[1].أزلية العالم تابعة لقديم ذاتي هوالله تعالى، فالعالم حادث ذاتا، لأنه ممكن، وقديما زمانا لأنه معلول للعلة القديمة، الله سبحانه وتعالى.

الإيمان بقدم العالم أوحدوثه ليس ركنا من أركان الدين، بل من الأمور النظرية، فهوفرع وليس أصلا، ولا يكفر إلا من أنكر أصلا معلوما من الدين بالضرورة، فالفلاسفة مؤمنون بالله، وأنه علة العالم.وأنه يعلم الجزئيات عن طريق علمه بالكليات، فليس من واجبات الله تعالى، أن يشعر بما يشعر به الخلق، أويحس بما يحسون به من لذة أوألم أوسعادة أوحزن، لأنها جميعا من صفات الخلق، وليس من صفات الخالق.ويؤمن الفلاسفة أن هناك بعثا، وإن اختلفوا مع بعض العلماء في التفسير، ويحسب لهم الاجتهاد(ومن المعلوم أنه من سلك طريق الاجتهاد، ولم يعول على

---

١) المختار من النصوص الفلسفية: عبد العزيز سيف النصر، ص٦٨، مكتبة الإيمان ٢٠١٤

التقليد في الاعتقاد، ولما عصته فهومعرض للخطأ، ولكن خطأه عند الله واقع موقع القبول، حيث كانت غايته من سعيه، ومقصده من
تمحيص نظره، أن يصل إلى الحق ويدرك مستقر اليقين)[١]

قضية التكفير عند الغزالي

انتقض الغزالي الفلاسفة في مسائل ثلاث من عشرين مسألة.يراها تخالف أصول العقيدة الإسلامية، ناشئةً عن فساد في صور الاستدلال، فيما يخص الإلهيات.وأنهم فهموا البرهان فهماً صحيحاً، ولم يحسنوا تطبيقه، فأنتجوا معتقدات على خلاف ما ادعوه واشترطوه، مثل توصلهم إلى القول بقدم العالم، وعدم حشر الأجساد، وعلم الله بالكليات دون الجزئيات.فلم يكن نقده للفلاسفة على الإطلاق، بل خصه في الإلهيات، دون سائر الموضوعات، (أما ما عدا هذه المسائل الثلاث، من تصرفهم في الصفات الإلهية، واعتقاد التوحيد فيها، فمذهبهم قريب من مذاهب المعتزلة، ومذهبهم في تلازم الأسباب الطبيعية، هوالذي صرح المعتزلة به في التولد، وكذلك جميع ما نقلناه عنهم، قد نطق به فريق من فرق الإسلام، إلا هذه الأصول الثلاث)[٢]

المسألة الأولى: اختلف الفلاسفة في قدم العالم: واستقر أغلبهم على أن الجواهر كلها قديمة، والعالم قديم قدم الباري تعالى، (وإنه لم يزل موجودا مع الله تعالى، ومعلولاً له، ومسوقاً له غير متأخر عنه بالزمان، مساوقة المعلول للعلة، ومساوقة النور للشمس، وأن تقدم الباري عليه كتقدم العلة على المعلول، وهوتقدم بالذات والرتبة، لا بالزمان)[٣]

١) حاشية على العقائد العضدية: محمد عبده، ص٦٠، ط١، المكتبة الخيرية ١٣٢٢
٢) تهافت الفلاسفة: أبوحامد الغزالي، تحقيق سليمان دنيا، ص٣٠٩، ط٦، دار المعارف
٣) المصدر نفسه: ص٨٨

توقف من فلاسفة اليونان جالينوس عن الخوض في هذه المسألة وشذ عنهم: (بأنه لا يدري: العالم قديم أو محدث! وربما دل على أنه لا يمكن أن يعرف، وأن ذلك ليس لقصور فيه، بل لاستعصاء هذه المسألة في نفسها على العقول)[١]إرادة الله عند الغزالي أوجدت العالم وقتما وجد، وتركته معدوما وقت عدمه، فهي التي تخصص للممكنات(إن العالم حدث بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه، وأن يستمر العدم إلى الغاية التي استمر إليها، وأن يبتدئ الوجود من حيث ابتدأ، وأن الوجود قبله لم يكن مراداً، فلم يحدث لذلك، وأنه في وقته الذي حدث فيه مراد بالإرادة القديمة)[٢] يجوز الغزالي صدور الحوادث من القديم لمنع التسلسل(إن في العالم حوادث ولها أسباب.فإن استندت الحوادث إلى الحوادث إلى غير نهاية فهومحال، وليس ذلك معتقد عاقل.ولوكان ذلك ممكناً، لاستغنيتم عن الاعتراف بالصانع، وإثبات واجب وجود هومستند الممكنات.وإذا كانت الحوادث لها طرف ينتهي إليه تسلسلها، فيكون ذلك الطرف هوالقديم، فلابد إذن على أصلهم من تجويز صدور حادث من قديم)[٣]

المسألة الثانية: إن الله لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة من الأشخاص[٤].يفرق الغزالي بين قول أرسطو: إن الله لا يعلم إلا نفسه، وقول ابن سينا: إن الله يعلم غيره علما كليا، ولا يعلم الجزئيات التي تتغير بتغير الزمان إلى ما كان وما يكون وما هوكائن، نفى الفلاسفة عن الله تعالى العلم بالجزئيات، لأنها تتغير، ولوكان يعلمها

١) المصدر نفسه: ص٨٩
٢) المصدر نفسه: ص٩٦
٣) المصدر نفسه: ص١٠٧
٤) المصدر نفسه: ص٣٠٨

لتغير علمه، لأن العلم تابع للمعلوم، فإذا تغير المعلوم تغير العلم، وكان الله تعالى محلا للحوادث(إن للذات علما واحدا ، فيصير علما بالكون، بعد كونه علما بأنه سيكون، ثم هويصير علما بأنه كان، بعد أن كان علما بأنه كائن، فالعلم واحد متشابه الأحوال، وقد تبدلت عليه الإضافة، لأن الإضافة في العلم حقيقة ذات العلم، فتبدلها يوجب ذات العلم، فيلزمه التغير، وهومحال على الله تعالى)[١]

يوافق الغزالي الفلاسفة في نفي التغير عن القديم، ويختلف معهم في أن العلم ليس إضافة إلى ذات العالم، فإذا تغيرت هذه الإضافة لم تتغير الذات، فالإنسان تكثر معلوماته وتتغير، ولا تتغير ذاته ولا تتعدد، فكيف يصدق التغير والتعدد على الله؟ولا يصدق على الإنسان.والعلوم المختلفة قد تندرج تحت علم واحد، فكيف لا يجوز ذلك بالنسبة لله؟!وكذلك كيف يقول الفلاسفة بقدم العالم والتغير فيه؟!بينما لا يجيزون التغير في علم الله القديم الأزلي، (فمذهبكم أن العالم قديم، وأنه لا يخلوعن التغير، فإذا عقلتم قديما متغيرا، فلا مانع لكم من هذا الاعتقاد)[٢].جميع الحوادث مكشوفة له انكشافاً واحداً، لا يؤثر فيه الزمان، وكذلك علمه بجميع الحوادث، فإنها تحدث بأسباب، وهذه الأسباب لها أسباب أخر، تنتهي إلى حركة العالم

المسألة الثالثة: إنكارهم بعث الأجساد وحشرها، (ورد الأرواح إلى الأبدان، ووجود النار الجسمانية، ووجود الجنة والحور العين، وسائر ما وعد به الناس.وقولهم: إن كل ذلك أمثلة ضربت لعوام الخلق.لتفهيم ثواب وعقاب روحانيين، هما أعلى رتبة من الجسمانيين)[٣] وافق الغزالي الفلاسفة ببقاء النفس بعد الموت، استنادا إلى الشرع،

١) المصدر نفسه: ص٢١٣
٢) المصدر نفسه: ص٢١٥
٣) المصدر نفسه: ص٢٨٢

وأنكر عليهم معرفة هذا الأمر عن طريق العقل(لا يفهم المعاد إلا ببقاء النفس، وإنما أنكرنا عليهم، من قبل دعواهم معرفة ذلك بمجرد العقل)[١].وأشار إلى تحلل الأجسام بعد الموت، فليس من الضروري أن يبعث الجسم الخاص بكل نفس، بل يكون لدى الإنسان في المعاد آلة جسمانية، تمكنه من الشعور الحسي باللذات والآلام، حتى يكون لكل من الثواب والعقاب معنى، كما ورد في القرآن الكريم

غرض الغزالي من تكفير الفلاسفة

– أن يبين قصور العقل عن إدراك حقيقة الله وصفاته، في منهج الفلاسفة، وأن الإلهيات(فيها أكثر أغاليطهم، فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شَرَطوه في المنطق، ولذلك كثُر الاختلاف بينهم فيه)[٢]ويبين الطريق للوصول إلى حقيقة الذات العلية، هوالإقبال على الدين، وتزكية النفوس بالعبادات.قرن الغزالي بين المنطق والعلوم الإسلامية، واعتبر محاولة الفلاسفة في إدراك ما ليس بمحسوس، بحواس الإنسان، يتناقض مع مفهوم الفلسفة(انتدبت لتحرير هذا الكتاب، ردًا على الفلاسفة القدماء، مبينًا تهافت عقيدتهم، وتناقض كلمتهم، فيما يتعلق بالإلهيات، وكاشفًا عن غوائل مذهبهم، وعوراته التي هي على التحقيق، مضاحك العقلاء، وعبرة عند الأذكياء.أعني: ما اختصوا به عن الجماهير والدهماء، من فنون العقائد والآراء)[٣]

– توجيه نظر من أُبهِر بالفلاسفة وظنّ أن أفكارهم واستنباطاتهم نقية من التناقض، فأظهر تناقض مسلكهم، وتهافت أدلتهم على معتقداتهم، ولا يدّعي الغزالي تصحيح فلسفتهم، أوبناء فلسفة بديلة(إن المقصود تنبيه، من حسن اعتقاده في الفلاسفة، وظن

١) المصدر نفسه: ص٢٨٧
٢) المنقذ من الضلال: أبوحامد الغزالي، ص٢٧، مركز الكتاب للنشر
٣) تهافت الفلاسفة: أبوحامد الغزالي، تحقيق سليمان دنيا، ص٧٥

أن مسالكهم نقية عن التناقض، بيان وجوه تهافتهم، فلذلك، أنا لا أدخل في الاعتراض عليهم، إلا دخول مُطالِبٍ مُنكِر، لا دخول مُدّعٍ مُثبِت)[1]

– إن أسلوب العقل في تفهم الأمور الرياضية، لا تخضع له المسائل الإلهية، وأن ما اشترطوه في كتاب القياس، لم يتمكنوا من الوفاء بشيء منه، في علومهم الإلهية.فلا يصح أخذ حقائق الدين عن العقل، لأنها أكبر من إدراكاته، فلا يؤمن خطأه، بل تأخذ قضايا الدين، بالعلم اليقيني، عن النبي المعصوم (فهذه المسائل الثلاث لا تلاءم الإسلام بوجه، ومعتقدها معتقد كذب الأنبياء–صلوات الله عليهم–وأنهم ذكروا ما ذكروه، على سبيل المصلحة، تمثيلا لجماهير الخلق وتفهيما، وهذا هوالكفر الصراح، الذي لم يعتقده أحد، من فرق المسلمين)[2]

في كتاب تهافت الفلاسفة حكم الغزالي على معتقِدِ المسائل الثلاث بالكفر.بين فشل الفلسفة، في إيجاد جواب لحقيقة الخالق، وأوجب على الفلسفة، أن تختص بالقضايا، التي تقبل القياس والملاحظة، مثل الطب والرياضيات والفلك، واعتبر محاولة الفلاسفة، في إدراك الغيبيات منافيا لمفهوم الفلسفة.والوسيلة المثلى لفهم الجانب الروحي"الغيبيات" لا يتم إلا بوحي، من السماء إلي النبي المعصوم

وفي كتاب فيصل التفرقة، بين الغزالي، أن الحكم بالكفر، لا يطلق، إلا فيمن خالف أمرا، معلوما من الدين بالضرورة، ويتشدد في أسباب الحكم بالكفر(أعطيك علامة صحيحة، فتطردها وتعكسها، لتتخذها مطمح نظرك، وترعوي بسببها عن تكفير الفرق، وتطويل اللسان في أهل الإسلام، وإن اختلفت طرقهم، ما داموا متمسكين، بقول لا إله

١) المصدر نفسه: ص٨٢
٢) المصدر نفسه: ص٣٠٩

إلا الله محمد رسول الله، صادقين بها غير مناقضين)[١].لا يقطع الغزالي بكفر من خرق الإجماع في التأويل (ولو أنكر ما ثبت بالإجماع، فهذا فيه نظر، لأن معرفة كون الإجماع حجة قاطعة فيه غموض، يعرفه المحصلون لعلم أصول الفقه.وأنكر النظام كون الإجماع حجة أصلا)[٢]

في عرض الغزالي لأسباب الكفر، رفض مبدأ التكفير لخرق الإجماع، لما يترتب على الحكم بالكفر من سوء العاقبة(التكفير حكم شرعي، يرجع على إباحة المال، وسفك الدم، والحكم بالخلود في النار، فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية.فتارة يدرك بيقين، وتارة بظن غالب.وتارة يتردد فيه، ومهما حصل تردد، فالوقف فيه عن التكفير أولى، والمبادر إلى التكفير، إنما تغلب على طباع، من يغلب عليهم الجهل)[٣]، فليتورع الجميع عن حكم الكفر، الذي يكون في بعض الأوقات، عصا يجلد بها خصوم الحكام السياسيين، لأسباب سياسيه، وليست دينيه.

ضوابط الحكم بالكفر عند الغزالي

١-التجرد من التعصب، والتأني في إصدار الأحكام(فلا ينبغي أن يكفر كل فريق خصمه، بأن يراه غالطا في البرهان،نعم يجوز أن يسميه ضالا أو مبتدعا: أما ضالا، فمن حيث إنه ضل عن الطريق عنده، وإما مبتدعا، فمن حيث إنه ابتدع قولا، لم يعهد من السلف الصالح التصريح به)[٤]

١) فيصل التفرقة : أبوحامد الغزالي، ص١٢٨
٢)الاقتصاد في الاعتقاد: أبوحامد الغزالي، ص١٢٢
٣) فيصل التفرقة: أبوحامد الغزالي، ص١٤٦
٤) فيصل التفرقة: أبوحامد الغزالي، ص١٣٨

٢-تعريف الكفر: هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام، في شيء مما جاء به.سبل معرفة التكفير: الشرع وليس العقل، والتمييز بين الأصول والفروع في الدين (فمعرفة الكذب والجهل، يجوز أن يكون عقليا، وأما معرفة كونه كافرا أو مسلما، فليس إلا شرعا)[١]

٣- التصديق إنما يتطرق إلى الخبر، بل إلى المخبر، وحقيقة الاعتراف، بوجوه ما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجوده.إلا أن للوجود خمس مراتب، ولأجل الغفلة عنها، نسبت كل فرقة مخالفها إلى التكذيب، فإن الوجود ذاتي وحسي وخيالي وعقلي وشبهي.فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن وجوده، بوجه من هذه الوجوه الخمسة، فليس بمكذب على الإطلاق [٢]

كل هذه الحالات تخص الأنبياء، دون غيرهم من العباد، فهذا النوع من التأويل، محظور على غير الأنبياء، لأنه لا يكون إلا بوحي أيضا.

أما عند ابن رشد، فإن هذا التأويل مسموح به، لغير الأنبياء من الحكماء

مراتب وجود الأشياء عند الغزالي خمسة، هي[٣]:

-الوجود الذاتي هو: الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس والعقل، ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة، فيسمى أخذه إدراكا، هوظاهر، بل هوالمعروف، الذي لا يعرف الأكثرون للوجود معنى سواه.هوالوجود المطلق الحقيقي، وذلك كإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن العرش والكرسي والسموات السبع، فإنه يجري على ظاهره، ولا يتأول، هذه أجسام موجودة في أنفسها،أدركت بالحس والخيال، أولم تدرك

١)الاقتصاد في الاعتقاد: أبوحامد الغزالي، ص١١٩

٢) فيصل التفرقة: أبوحامد الغزالي، ص١٢٩

٣) انظر فيصل التفرقة: أبوحامد الغزالي، ص١٣٠، ١٣١

-الوجود الحسي هو: ما يتمثل في القوة الباصرة من العين، مما لا وجود له خارج العين، فيكون موجودا في الحس، ويختص به الحاس، ولا يشاركه غيره، وذلك كما يشاهده النائم، بل كما يشاهده المريض المتيقظ، إذ قد تتمثل له صورة، ولا وجود لها خارج حسه، حتى يشاهدها، كما يشاهد سائر الموجودات، الخارجة عن حسه، بل قد تتمثل للأنبياء والأولياء في اليقظة والصحة، صورة جميلة محاكية لجواهر الملائكة، وينتهي إليهم الوحي والإلهام بواسطتها، فيتلقون من أمر الغيب، ما يتلقاه غيرهم في النوم، وذلك لشدة صفاء باطنهم، كما قال تعالى{فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا }[سورة مريم: آية١٧]

-الوجود الخيالي هو: صورة هذه المحسوسات إذا غابت عن حسك، فانك تقدر على أن تخترع في خيالك، صورة فيل وفرس، وإن كنت مغمضا عينيك، حتى كأنك تشاهده، وهوموجود بكمال صورته، في دماغك لا في الخارج

-والوجود العقلي هو: أن يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى، فيتلقى العقل مجرد معناه، دون أن يثبت صورته، في خيال أوحس أوخارج، كاليد مثلا، فإن لها صورة محسوسة ومتخيلة، ولها معنى هو حقيقتها، وهي القدرة على البطش.والقدرة على البطش، هي اليد العقلية، وللقلم صورة ، لكن حقيقته ما تنقش به العلوم، وهذا يتلقاه العقل، من غير أن يكون مقرونا، بصورة قصب وخشب، وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية

والوجود الشبهي هو: ألا يكون نفس الشيء موجودا، لا بصورته ولا بحقيقته، لا في الخارج، ولا في الحس، ولا في الخيال، ولا في العقل، ولكن يكون الموجود شيئا آخر، يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته[١]

١) فيصل التفرقة: أبوحامد الغزالي، ص١٣٠، ١٣١

مثاله: الغضب والشوق والفرح والصبر، وغير ذلك، مما ورد في حق الله تعالى، فإن الغضب مثلا، حقيقته أنه غليان دم القلب لإرادة التشفي، وهذا لا ينفك عن نقصان وألم.فمن قام عنده البرهان، على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى، ثبوتا ذاتيا وحسيا وخياليا وعقليا، نزله على ثبوت صفة أخرى، يصدر منها ما يصدر من الغضب، كإرادة العقاب، والإرادة لا تناسب الغضب في حقيقة ذاته، ولكن في صفة من الصفات وتقارنها، وأثر من الآثار يصدر عنها، هو الإيلام[١]

وينبه الغزالي أنك ستفهم هذا إذا ذكرت لك مثاله في التأويلات.مثال الوجود الحسي: قول الرسول صلى الله عليه وسلم (يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار)[٢]، فإن من قام عنده البرهان، على أن الموت عرض أوعدم عرض، وأن قلب العرض جسما، مستحيل غير مقدور، ينزل الخبر، على أن أهل القيامة يشاهدون ذلك، ويعتقدون أنه الموت، ويكون ذلك موجودا في حسهم، لا في الخارج.ومن لم يقم عنده هذا البرهان، فعساه يعتقد، أن نفس الموت، يقلب كبشا في ذاته ويذبح[٣]

٤-معرفة التأويل: هو النظر في النص الشرعي، الذي عدل به عن ظاهره، هل يحتمل التأويل؟ويتحقق فيه الشروط، أولا يقبل التأويل.ومعرفة التأويل(ليس بالهين، بل

١) المصدر نفسه: ص١٣٥

٢) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن / باب قوله: {وأنذرهم يوم الحسرة} [مريم: ٣٩[/ حديث رقم ٤٧٣٠]

٣) فيصل التفرقة: أبوحامد الغزالي، ص ١٣٢

لا يستقل به إلا الماهر الحاذق، في علم اللغة، العارف بأصولها)[١](ولم يثبت لنا أن الخطأ في التأويل موجب للتكفير، فلابد من دليل)[٢]

-معرفة الإجماع وما يستند إليه: (ودرك ذلك من أغمض الأشياء، إذ شرطه أن يجتمع أهل الحل والعقد في صعيد واحد، فيتفقوا على أمر واحد، اتفاقا بلفظ صريح، ثم يستمروا عليه مرة عند قوم، وإلى تمام انقراض العصر عند قوم، أويكاتبهم إمام في أقطار الأرض، فيأخذ فتاويهم في زمان واحد، بحيث تتفق أقوالهم اتفاقا صريحا، حتى يمتنع الرجوع عنه، والخلاف بعده)[٣]

إن التحقق من هذه الشروط، والالتزام بهذه الضوابط، كفيل بترك جكم الكفر، لمن هو من أهل العلم والاجتهاد، فمن كان من أهل التقليد، أولى بالإعراض عن الخوض في هذا الباب، فهوأسلم له، والمقصود من كل هذه الشوط والضوابط (أنه لا ينبغي أن يكفر بكل هذيان، وإن كان ظاهر البطلان، فإذا فهمت أن النظر في التكفير، موقوف على جميع هذه المقامات، التي لا يستقل بآحادها المبرزون، علمت أن المبادر إلى تكفير، من يخالف الأشعري أوغيره، جاهل مجازف، وكيف يستقل الفقيه بمجرد الفقه، بهذا الخطب العظيم؟ وفي أي ربع من أرباع الفقه يصادف هذه العلوم؟)[٤]

وضع الغزالي كل هذه الضوابط للاحتراز عن حكم الكفر، فما معنى قوله التكفير بدليل الظند؟(فإذا أردت أن تعرف سبيل الحق فيه: فاعلم قبل كل شيء أن هذه مسألة فقهية، أعني الحكم بتكفير من قال قولاً وتعاطي فعلاً، فإنها تارة تكون معلومة بأدلة

١)المصدر نفسه: ص١٤٧
٢) الاقتصاد في الاعتقاد: أبوحامد الغزالي، ص١٢١
٣) فيصل التفرقة: أبوحامد الغزالي، ص١٤٨
٤)فيصل التفرقة: أبوحامد الغزالي، ص١٥٠

سمعية، وتارة تكون مظنونة بالاجتهاد، ولا مجال لدليل العقل فيها البتة)[١] إن محل الاجتهاد الظني في التكفير قد يكون بسبب شهادة الزور، أوالنظر في(أن هذا الشخص رقيق أوحر، ومعناه أن السبب الذي جرى، هل نصبه الشرع مبطلا لشهادته وولايته، ومزيلا لأملاكه، ومسقطا للقصاص عن سيده المستولي عليه إذا قتله، فيكون كل ذلك طلبا لأحكام شرعية، لا يطلب دليلها إلا من الشرع، ويجوز الفتوى في ذلك بالقطع مرة، وبالظن والاجتهاد مرة)[٢]

يشترط الغزالي اليقين في حكم التكفير، فلابد من بيانٍ قطعي بقوله: (والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه: الاحتراز من التكفير، ما وجد إليه سبيلاً.فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة، المصرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة، أهون من الخطأ، في سفك محجمة من دم مسلم)[٣].فليس في قوله استباحة للتكفير بغلبة الظن، بل أوجب الاحتراز من التكفير، ما وجد إلى ذلك سبيلا.وأظهر سبيل ورود الاحتمال المانع من اليقين، فطلب اليقين بتصريحه، بأن الخطأ في ترك ألف كافر في الحياة، أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم(وثبت أن العصمة مستفادة، من قول لا إله إلا الله قطعًا، فلا يُرفع ذلك إلا بقاطع)[٤]

وصف الغزالي بنية الفكر الفلسفي في كتابه(مقاصد الفلاسفة)، ثم أعقبه بنقد الفلسفة في كتاب(تهافت الفلاسفة)، بين فيه منهجه لنقد الفلاسفة، وضح فيه شروط

١)الاقتصاد في الاعتقاد: أبوحامد الغزالي، ص١١٩
٢) المصدر نفسه: ص١١٩
٣) المصدر نفسه: ص١٢١
٤) المصدر نفسه: ص١٢١

الباحث الجيد، حيث لا يجوز لمنتقد مذهب، أو فلسفة، أن يكون جاهلاً بها؛ لابدَّ أن يدرك ابتداءً مقصدها ودلالتها إدراكا دقيقا، وتكون معرفة الناقد أكبر من معرفة الفيلسوف، لا مساوية له (وعلمت يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم، من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في أصل العلم، ثمّ يزيد عليه، ويجاوز درجته، فيطّلع على ما لم يطّلع عليه، صاحب العلم من غور وغائله، فإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقّاً)[١].ويحذّر من(أنّ ردّ المذهب قبل فهمه، والاطلاع على كنهه، رمي في عماية)[٢]

بعد كل هذه الضوابط لماذا كفر الغزالي الفلاسفة

١-لأنهم خالفوا نصوص القرآن، بحجة قصور عقول العامة، عن فهم اللذات العقلية(يعتقدون

أمورا تخالف نصوص الشرع، ولكن يقولون: إن النبي محق وما قصد بما ذكره إلا صلاح الخلق، ولكن لم يقدر على التصريح بالحق، لكلال أفهام الخلق عن دركه)[٣]

أوجب الغزالي القطع بتكفير الفلاسفة، لإنكارهم حشر الأجساد، والتعذيب بالنار والتنعيم في الجنة.ولقولهم: إن الله يعلم الكليات، ولا يعلم الجزئيات وتفصيل الحوادث، إنما تعلمها الملائكة السماوية.وقولهم: إن العالم قديم، والله تعالى متقدم عليه بالرتبة، مثل تقدم العلة على المعلول، وإلا فلم تر في الوجود إلا متساويين(هؤلاء إذا أوردوا عليهم آيات القرآن، زعموا أن اللذات العقلية تقصر الأفهام عن دركها، فمثل لهم ذلك باللذات الحسية، وهذا كفر صريح، والقول به إبطال لفائدة الشرائع، وسد لباب الاهتداء

١) المنقذ من الضلال : أبوحامد الغزالي، ص٢١
٢) المصدر نفسه: ص٢١
٣) الاقتصاد في الاعتقاد: أبوحامد الغزالي، ص١٢٠

بنور القرآن، واستبعاد الرشد من قول الرسل، فإنه إذا جاز عليهم الكذب لأجل المصالح، بطلت الثقة بأقوالهم، فما من قول يصدر عنهم، إلا ويتصور أن يكون كذبا)[1]. أرجع الفلاسفة الاختلاف، بين النص الديني ورأي الفلاسفة، إلى أن النص الديني أريد به إقناع العامة من الناس وتقريب الحقائق الدينية إليهم، لا طرح الحقائق التي يسلك لها طريقا آخرا، هو طريق البرهان وتصورات العقل

لم يقبل الغزالي تبرير الفلاسفة (لأنه عرف قطعا من الشرع، أن من كذب رسول الله فهو كافر، وهؤلاء مكذبون، ثم معللون للكذب بمعاذير فاسدة، وذلك لا يخرج الكلام عن كونه كذبا)[2]، ومن يغير الظاهر بغير برهان قاطع، كالذي ينكر حشر الأجساد، يجب تكفيره قطعيا، فلا برهان على استحالة رد الأرواح إلى الأجساد. والذي قال إن الله لا يعلم الجزئيات المتعلقة بالأشخاص، لأنه تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم، وليس من الدرجات، المباح فيها التأويل، (إذ أدلة القرآن والأخبار على تفهيم حشر الأجساد، وتفهيم تعلق علم الله تعالى بتفصيل كل ما يجري على الأشخاص، مجاوز حدا، لا يقبل التأويل، وهم معترفون بأن هذا ليس من التأويل)[3]، وبرروا ذلك بأن فيه، صلاح للعامة من الخلق، أصحاب العقول القاصرة، الذين يعتقدوا حشر الأجساد، لقصور عقولهم عن فهم المعاد العقلي، وأن الله تعالى عالم بما يجري عليهم ورقيب عليهم، فيورث ذلك في قلوبهم، رغبة في الإيمان، ورهبة من الكفر، (جاز للرسول عليه السلام، أن يفهمهم ذلك، وليس بكاذب من أصلح غيره، فقال ما فيه صلاحه، وإن لم يكن كما قاله، وهذا القول باطل قطعا، لأنه تصريح بالتكذيب، ثم طلب عذرا

١) المصدر نفسه: ص١٢٠
٢)المصدر نفسه: ص١٢٠
٣) فيصل التفرقة: أبوحامد الغزالي، ص١٤٢

في أنه لم يكذب، ويجب إجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة، ففي الصدق وإصلاح الخلق، به مندوحة عن الكذب)[١]

٢-لأنهم وضعوا شروطا للدليل اليقيني، وعجزوا عن تطبيقها في أمور الدين(يجمعون شروطاً يعلم أنّها تورث اليقين لا محالة، لكنهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية، ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط؛بل تساهلوا غاية التساهل)[٢]، ونبه أن يقينية نتائج منهج الرياضة والمنطق، لا تتحقق في مسائل الغيب، فلا ينبغي الانخداع بالفلاسفة؛لأنّهم(يستدلّون على صدق علومهم الإلهية، بظهور العلوم الحسابية والمنطقية، ويستدرجون ضعفاء العقول، ولوكانت علومهم الإلهية متقنة عن البراهين، نقيّة عن التخمين، كعلومهم الحسابية، لما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا في الحسابية)[٣]

٣- لأن دليل الرياضة برهاني، لكن استخدامه في الإلهيات، ينتج عنه آفتان

الأولى: أن يسحب المسلم الثقة في برهان الرياضة، إلى برهان الدين عند الفلاسفة، ويترتب على ذلك كفره بالتقليد، لظنه أن أدلتهم صحيحة(يحسب أن جميع علومهم في الوضوح، ووثاقة البرهان، كهذا العلم، ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع، ما تداولته الألسنة، فيكفر بالتقليد المحض، ويقول لوكان حقا لما اختفى على هؤلاء، مع تدقيقهم في هذا العلم)[٤]حذر الغزالي، أن يقود وضوح برهان الرياضة، ضعيف العلم مع حسن ظنه، إلى إتباع آراء الفلاسفة، فيقلدهم في أمور الدين، كما يقلدهم في الرياضيات

---

١) المصدر نفسه: ص١٤٢

٢) المنقذ من الضلال: أبوحامد الغزالي، ص٢٦

٣) تهافت الفلاسفة: أبوحامد الغزالي، ص٧٧

٤)المنقذ من الضلال: أبوحامد الغزالي، ص٢٥

الثانية: قد يظن بعض المسلمين، أن الإسلام ينصر بإنكار هذه العلوم، وكل علم منسوب إلي الفلاسفة، وهي حقائق علمية ثابتة، فيظن أن الإسلام ينكر العلم(فأنكر جميع علومهم، وادعى جهلهم فيها، حتى أنكر الكسوف والخسوف، وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع، فلما فرغ ذلك، سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع، لم يشك في برهانه، لكن اعتقد أن الإسلام مبني على الجهل، وإنكار البرهان القاطع، فازداد للفلسفة حبا وللإسلام بغضا)[١]

قسم الغزالي علوم الفلاسفة إلى ستة أقسام: رياضية، ومنطقية، وإلهية، وطبيعية، وسياسية، وخلقية

علم الطبيعيات: يبحث فيه الفلاسفة عن أجسام العالم وأن أصل جملتها(مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها، بل هي مستعملة من جهة فاطرها.الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، لا فعل لشيء منها بذاته عن ذاته)[٢]

والسياسية: يرجع الغزالي جميع كلام الفلاسفة فيه إلى(الحكم المصلحية المتعلقة بالأمور الدنيوية السلطانية، وإنما أخذوها، من كتب الله المنزلة على الأنبياء، ومن الحكم المأثورة عن سلف الأولياء)[٣]

والخلقية: يرجع جميع كلامهم فيها، إلى حصر صفات النفس وأخلاقها، وكيفية معالجتها ومجاهدتها، أخذها الفلاسفة من كلام الصوفية، المثابرون على ذكر الله، ومخالفة الهوى ، (وسلوك الطريق إلى الله تعالى، بالإعراض عن ملاذ الدنيا، وقد

١)المصدر نفسه: ص٢٦
٢) المصدر نفسه: ص٢٦
٣) المصدر نفسه: ص٢٨

انكشف لهم في مجاهدتهم، من أخلاق النفس وعيوبها، وآفات أعمالها، ما صرحوا بها، فأخذها الفلاسفة، ومزجوا بكلامهم، توسلا بالتجمل بها، إلى ترويج باطلهم)[١]

الرياضيات: تتعلق بالحساب والهندسة وعلم هيئة العالم، ولا يتعلق شيئا منها بالأمور الدينية، هي أمور برهانية، لا سبيل إلى جحدها، بعد فهمها ومعرفتها.لكن قد يتولد منها آفة، إذا ظن المتعلم، أن جميع علوم الفلاسفة، في وضوح ووثاقة برهان الرياضيات.ثم يكون قد سمع من فكرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع، ما تداولته الألسنة، فيكفر بالتقليد المحض، وينخلع من الدين، وينحل عن رأسه لجام التقوى

المنطقيات: لا يتعلق شيء منها بالدين، نفيا أواثباتا، هي النظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان، وكيفية تركيبها، وشروط الحد الصحيح، وكيفية ترتيبه[٢].المنطق عند الغزالي كل مبادئ العقل من بديهيات ونظريات، كالرياضيات أمور عقلية مسلمة.لم يستطع الفلاسفة تحقيق شروط الدليل من المنطق في الإلهيات، كما حققوها في الرياضيات.يجمعون للبرهان شروطا، تورث اليقين لا محالة.إلا أن أهل المنطق(عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية، ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط، بل تساهلوا غاية التساهل، وربما ينظر في المنطق أيضا من يستحسنة، ويراه واضحا، فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيدة، بمثل تلك البراهين، ويستعجل بالكفر، قبل الانتهاء إلى العلوم الإلهية)[٣]

غاية الغزالي هوالتنبيه إلي إيمان المقلد، مقلد الفلاسفة في الإلهيات، بأن أدلتهم قاصرة عن إدراك حقائق الغيب، وهي الأصل في بعثة الأنبياء، وأثر ذلك أن ينقل

١) المصدر نفسه: ص٢٨
٢)المنقذ من الضلال: أبوحامد الغزالي، ص٢٦
٣) المصدر نفسه: ص٢٧

المقلد من الإيمان إلى الكفر، دون انتباه أوعلم، ودائما ما يبحث الغزالي، عن الأحوط والأسلم، وإيمان المتقين

الإلهيات: فيها أكثر أغاليط الفلاسفة، عجزوا عن الوفاء بشروط المنطق في الإلهيات، لأنهم استخدموا المنطق، في فهم ما لا يصلح لفهمه، دفعهم الغرور إلى وزن أمور الرب بميزان العقل، فزاغوا عن سبيل الحق والهدى.لا ينكر الغزالي حقائق العلم، الرياضية أوالطبيعية، كلها علوم حقيقية، لا شك في صحة براهينها، وفائدة استنتاجاتها.لكنه حدد مسار العلم، فكما لا يجوز بناء العلوم على الاعتقاد، فلا يجوز حصر الدين في أحكام العقل وبراهين المنطق، فالعلم آلته العقل، والدين ينطلق من القلب بهدي الشرع

أدرك الفلاسفة من الإلهيات، على قدر ما وجدوه وتصوروه، وما لم يعقلوه قدروا استحالته(يحكمون بظن وتخمين، من غير تحقيق ويقين، على صدق علومهم الإلهية، بظهور العلوم الحسابية والمنطقية، ويستدرجون به ضعفاء العقول.ولوكانت علومهم الإلهية متقنة البراهين، نقية عن التخمين، كعلومهم الحسابية، لما اختلفوا فيها، كما لم يختلفوا في الحسابية)[1]

نقد الغزالي الفلاسفة، لأنهم بالغوا في إيمانهم بقدرة العقل على المعرفة، حتى أخص الغيبيات، كمعرفة الله تعالى، وبين خطأهم، في توسيع مجال العقل، أكثر مما يتسع له من معارف، فأتت علومهم الإلهية غير يقينية النتائج.نقض حصر الدين في أحكام العقل وبراهين المنطق، لأن العقل الإنساني محدود، لا يصل إلي الله، إلا بنص ديني، يرشده إلي الله.لم يكن هدف الغزالي نقض العقل، بل أراده يعمل تحت إشراف النص الديني

١)تهافت الفلاسفة: أبوحامد الغزالي، ص٧٧

ويرى أن الإيمان مبني على ما فوق العقل، مبني على التجربة الروحية والمعاني الملهمة، التي يضعها الله في قلب الإنسان.أراد تصحيح مسار الفلسفة، فبين قدرة العقل واختصاصاته، وأنه قاصر عن إدراك موضوعات الغيب، التي لا تدرك إلا بوحي من السماء، فأبدع في طرح السؤال، وقدم أساسا يعتمد عليه للبحث عن اليقين.

المبحث الثالث

منهج ابن رشد في الرد على الغزالي

واجه الغزالي الفلاسفة بمنهجهم الفلسفي، ودافع ابن رشد عن الفلسفة بعلوم الشريعة الإسلامية، مع استخدامه الحجج العقلية والمنطقية، ليثبت أن الحكمة لا تناقض الشريعة، الدين قائم على الوحي والإيمان الغيبي والتسليم، والفلسفة تقوم على العقل وأحكامه.الدين والفلسفة متفقان، لا اختلاف بينهما، لا يؤدي التفكير العقلي إلى مخالفة ما ورد به الشرع، لأن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له

بين ابن رشد أن الشرع، أوجب التفكير العقلي في الموجودات واعتبارها، من جهة دلالتها على الصانع، أخذا من قوله تعالى: { فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ }[الحشر: آية ٢]، وأن الشرع أوجب استخدام القياس العقلي وأنواعه، كما أوجب استخدام القياس الفقهي(فبين، أنه إن كان، لم يتقدم أحد ممن قبلنا، بفحص عن القياس العقلي وأنواعه، أنه يجب علينا، أن نبتدئ بالفحص عنه، وأن يستعين في ذلك المتأخر بالمتقدم، حتى تكتمل المعرفة)[١] الفقيه يستنبط من الآية الكريمة وجوب معرفة القياس الفقهي، فبالأحري والأولى، أن يستنبط منها العارف بالله، وجوب معرفة القياس العقلي

في كتاب فصل المقال، ذكر ابن رشد أن مراتب الأقاويل، في التصديق والإقناع، المثبتة في كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي، يقصر أكثرها عن رتبه اليقين والبرهان، وأن(كل ما يحتاج إليه من النظر في أمر المقاييس العقلية، قد فحص عنه القدماء أتم

١) فصل المقال: ابن رشد، ص٢٥

فحص، فقد ينبغي أن نضرب بأيدينا إلى كتبهم، فننظر فيما قالوه من ذلك، فإن كان كله صوابا، قبلناه منهم، وإن كان فيه ما ليس بصواب، نبهنا عليه)[١]

ليس لعلم المنطق دين ولا مذهب، هو قواعد علمية وآلة فكرية، يأخذها المسلمون من مشارك لهم في الملة أو غير مشارك، تمكنهم على اعتبار الموجودات ودلالة الصنعة فيها .وتيسر لهم البحث عن الموجودات، على النحو الذي استفادوه، من الحصول على المعرفة بالمقاييس البرهانية. لابد أن يستفيد اللاحق بالسابق، وليست الحكمة حكرا على قوم دون قوم.ومن لديه آلة يعرف الصنعة، ومن يعرف الصنعة يعرف المصنوع، ومن يعرف المصنوع يعرف الصانع فلا يضر، إذا كان الغير من العلماء والفلاسفة، مشاركا لنا، أوغير مشارك في الملة، (فإن الآلة التي تصح بها التذكية لا تعتبر في صحة التذكية بها، كونها آلة لمشارك لنا، في الملة أوغير مشارك، إذا كانت فيها شروط الصحة.وأعني بغير المشارك: من نظر في هذه الأشياء، من القدماء قبل ملة الإسلام)[٢].نفحص ما ذكروه وأثبتوه في كتبهم (فما كان منها موافقا للحق، قبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق، نبهنا عليه، وحذرناهم منه، وعذرناهم)[٣].إن النظر في كتب القدماء، واجب بالشرع، إذ كان مغزاهم في كتبهم ومقصدهم، هوالمقصد الذي حثنا الشرع عليه، معرفة الله تعالى، وأن من نهى عن النظر فيها(فقد صد الناس عن الباب، الذي دعا

١) فصل المقال: ابن رشد، ص٢٦
٢) فصل المقال: ابن رشد، ص٢٦
٣) فصل المقال: ابن رشد، ص٢٨

الشرع منه، الناس إلى معرفة الله، وهوباب النظر المؤدي، إلى معرفته حق المعرفة. وذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى)[١]

الهدف من وجوب النظر في الموجودات هو اعتبار دلالتها لمعرفة الصانع ، والاعتبار هو استنباط المجهول [الخالق] من المعلوم [نصه وصنعه] وهذا هو القياس العقلي(المنطق).أتم أنواع القياس البرهان، هوأصدق من القياس الجدلي والقياس الخطابي

من هوأهل للنظر في كتب القدماء؟

إن النظر في كتب القدماء واجب بالشرع، إذ كان غايتهم في كتبهم ومقصدهم، هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه، والذي يجوز له النظر في كتب القدماء، يجمع أمرين:

أحدهما: ذكاء الفطرة

الثاني: العدالة الشرعية، والفضيلة العلمية والخلقية

ليس يجب فيما كان نافعا بطباعه وذاته، أن يترك لمكان مضرة موجودة فيه بالعرض، ولذلك قال: عليه الصلاة والسلام للذي أمره بسقي العسل أخاه، لإسهال كان به، فتزيد الإسهال به لما سقاه العسل، وشكا ذلك إليه، "صدق الله، وكذب بطن أخيك"[٢]. ومن منع الباب الذي دعا الشرع منه الناس إلى معرفة الله، وهوباب النظر، فذلك غاية الجهل والبعد عن الله.لأن النظر البرهاني لا يؤدي إلى مخالفة ما نص عليه الشرع. ولا يمنع من هو أهل للنظر في كتب الحكمة، من أجل قوم، قد يظن بهم أنهم ضلوا بنظرهم فيها من قبل، كمن منع العطشان شرب الماء، حتى مات من العطش، (لأن قوما شرقوا به فماتوا، فإن الموت عن الماء بالشرق أمر عارض، وعن

١) فصل المقال: ابن رشد، ص٢٩

٢) صحيح البخاري « كتاب الطب « باب دواء المبطون(٥٣٨٦)

العطش أمر ذاتي وضروري)[١]إن العلاقة بين الفلسفة التي تمثل العقل، والشرع الذي يمثل الدين، هي(أن الحكمة هي صاحبة الشريعة، والأخت الرضيعة، فالأذية ممن ينسب إليها هي أشد الأذية، مع ما يقع بينهما من العداوة والبغضاء والمشاجرة، وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجوهر والغريزة)[٢]

يرجع ابن رشد، أي خلاف بين الشريعة والفلسفة، إلى سوء فهم من أصحاب الأهواء الفاسدة والاعتقادات المحرفة.وأن الشرع اختص بأمور فوق قدرات العقل(الفلسفة تفحص عن كل ما جاء في الشرع، فإن أدركته استوي الإدراكان، وكان ذلك أتم في المعرفة، وإن لم تدركه، أعلمت بقصور العقل الإنساني عنه، وأن يدركه الشرع فقط)[٣]

مراتب الناس في المعرفة

إن الشريعة الإسلامية الحق، نبهت على هذه السعادة، التي تتحقق بمعرفة الله عز وجل، ومخلوقاته، ومقرر عند كل مسلم، وثابت في وجدانه، الطريق الذي تقتضيه جبلته وطبيعته للتصديق، (لأن طباع الناس متفاضلة في التصديق، فمنهم من يصدق بالبرهان ، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية، تصديق صاحب البرهان بالبرهان، إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك، ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية، كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية.وذلك أنه لما كانت شريعتنا، هذه الإلهية، قد دعت الناس من هذه الطرق الثلاث، عم التصديق بها كل إنسان، إلا من جحدها)[٤]

---

١) فصل المقال: ابن رشد، ص٣٠

٢) المصدر نفسه: ص٦٧

٣) تهافت التهافت: ابن رشد، تحقيق أحمد شمس الدين ، ص٣٣٦، دار الكتب العلمية لبنان

٤) فصل المقال: ابن رشد، ص٣١

قسم ابن رشد البشر من حيث الفهم والإدراك إلى مراتب ثلاثة: من يصدق بالبرهان(المقدمات المنطقية الصادقة، المبنية على البديهيات والأوليات)، ومن يصدق بالأقاويل الجدلية(المقدمات المبنية على المشهورات والمسلمات)، ومن يصدق بالأقاويل الخطابية (المواعظ). ولا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع، ولا يمنع تأويل الآيات، ومعرفة ظاهرها وباطنها

علاقة الحكمة بالشريعة عند ابن رشد

لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له[١].يؤدى النظر البرهاني إلى المعرفة بموجود ما، هذا الموجود إما سكت عنه الشرع أوعرف به.لوسكت عنه، فبمنزلة ما سكت عنه من الأحكام، فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعي،ولونطقت الشريعة به، فقد يكون موافقا لما أدي إليه البرهان، أومخالفا، (فإن كان موافقا، فلا قول هنالك، وإن كان مخالفا، طلب هنالك تأويله)[٢]ويرفض ابن رشد تحويل الخلاف الفقهي إلى مناظرة أمام العامة من الناس، لأنه لا يعلم بالباطن، من ليس من أهل العلم به، فلا يقدر على فهمه، ففي الشرع حقائق، لا ينبغي أن يعلمها، إلا الراسخون في العلم

التأويل

معنى التأويل: هوإخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب، في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه، أو بسببه، أولاحقه، أومقارنه، أوغير ذلك من الأشياء، التي عددت في تعريف أصناف الكلام

١) المصدر نفسه: ص٣٢
٢) المصدر نفسه: ص٣٢

المجازي[1]الفقيه يفعل هذا التأويل، في كثير من الأحكام الشرعية، فمن باب أولى، أن يفعل ذلك صاحب علم البرهان.لأن الفقيه قياسه ظني، والعارف عنده قياسه يقيني أهم سمات القياس البرهاني: أن كل ما توصل إليه البرهان، وخالفه ظاهر الشرع، يقبل التأويل العربي.لا يشك في ذلك مسلم، ولا يرتاب فيه مؤمن، بل يزيد اليقين، عند من زاول هذا المعنى وجربه، وقصد الجمع بين المعقول والمنقول(ما من منطوق به في الشرع، مخالف بظاهره، لما أدى إليه البرهان، إلا إذا اعتبر وتصفحت سائر أجزائه، وجد في ألفاظ الشرع، ما يشهد لذلك التأويل، أويقارب أن يشهد، ولهذا المعنى، أجمع المسلمون على أنه ليس يجب، أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها، ولا أن تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل، واختلفوا في المأول منها من غير المأول، فالأشعريون مثلا، يتأولون آية الاستواء، وحديث النزول، والحنابلة تحول ذلك على ظاهره)[2]

سبب ورود الظاهر والباطن في الشرع

هواختلاف طبيعة الناس وتباين مداركهم في التصديق، وورود(الظواهر المتعارضة فيه، هوتنبيه الراسخين في العلم، على التأويل الجامع بينها، وإلى هذا المعنى، وردت الإشارة بقوله

تعالى: {هُوالَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} إلى قوله {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}[آل عمران: آية٧])[3]

١) المصدر نفسه: ص٣٢
٢) فصل المقال: ابن رشد، ص٣٣
٣) المصدر نفسه: ص٣٤

سبب انقسام الشرع إلي ظاهر: الأمثال المضروبة واضحة المعاني، وباطن: المعاني التي لا تنجلي إلا لأهل البرهان، أن للنص معاني وحقائق عقلية، لا يعلمها إلا أهل البرهان، فالأشياء الخفية التي لا تعلم إلا بالبرهان، (تلطف الله فيها لعباده، الذين لا سبيل لهم إلى البرهان، إما من قبل فطرهم، وإما من قبل عادتهم، وإما من قبل عدمهم أسباب التعلم، بأن ضرب لهم أمثالها وأشباهها، ودعاهم إلى التصديق بتلك الأمثال، إذ كانت تلك الأمثال، يمكن أن يقع التصديق بها، بالأدلة المشتركة للجميع، أعني الجدلية والخطابية)[1]

حكم ما أجمع المسلمون على حمله على ظواهره في الشرع، أوعلى تأويله، وما اختلفوا فيه بين حمله على الظاهر أو تأويله. فهل يجوز أن يؤدي البرهان، إلى تأويل ما أجمعوا على ظاهره؟أوظاهر ما أجمعوا على تأويله.يجيب ابن رشد(لوثبت الإجماع بطريق يقيني، لم يصح، وإن كان الإجماع فيها ظنيا، فقد يصح، ولذلك قال أبوحامد، وأبوالمعالي، وغيرهما من أئمة النظر، إنه لا يقطع بكفر، من خرق الإجماع في التأويل، في أمثال هذه الأشياء)[2]وإذا قيل: إن الإجماع قد لا يتقرر، في النظريات بطريق يقيني، كما قد يتقرر في العمليات، رد ابن رشد: بأن شروط تقرير الإجماع ، في مسألة ما، في عصر ما، (أن يكون ذلك العصر عندنا محصورا، وأن يكون جميع العلماء الموجودين في ذلك العصر، معلومين عندنا، أعني معلوما أشخاصهم، ومبلغ عددهم، وأن ينقل إلينا في المسألة، مذهب كل واحد منهم فيها، نقل تواتر، ويكون مع هذا كله، قد صح عندنا، أن العلماء الموجودين في ذلك الزمان، متفقون على أنه ليس

١) المصدر نفسه: ص٤٦
٢) المصدر نفسه: ص٣٥

في الشرع ظاهر وباطن، وأن العلم بكل مسألة، يجب أن لا يكتم عن أحد، وأن الناس طريقهم واحد في علم الشريعة)[1]

وقد نقل عن كثير من الصدر الأول، أنهم كانوا يرون أن للشرع ظاهرا وباطنا، لا يدركه إلا أهل العلم، فلا يجب أن يعلم بالباطن، من لا يقدر على فهمه، وقد(روي عن البخاري عن على بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه قال حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟)[2]ومثل ما روي من ذلك عن جماعة من السلف

ولا يتصور إجماع منقول إلينا عن مسألة من المسائل النظرية، ولا يخلوعصر من علماء، يرون أن في الشرع أشياء، لا ينبغي أن يعلم بحقيقتها جميع الناس.أما العمليات، فيرى العلماء إفشاءها لجميع الناس على السواء(يكتفي في حصول الإجماع فيها، بأن تنتشر المسألة، فلا ينقل إلينا فيها خلاف، فإن هذا كاف، في حصول الإجماع في العمليات، بخلاف الأمر في العلميات)[3]

حكم من صرح بهذه التأويلات لغير أهلها عند ابن رشد كافر، بسبب اعتقاد الناس فيه، أنهم يدعوهم إلى الكفر، والداعي إلى الكفر كافر، (وهوضد دعوة الشارع، وبخاصة متى كانت تأويلات فاسدة ، في أصول الشريعة، كما عرض ذلك لقوم من أهل زماننا، فإنا قد شاهدنا منهم، أقواما ظنوا أنهم تفلسفوا، وأنه قد أدركوا بحكمتهم العجيبة، أشياء مخالفة للشرع من جميع الوجوه، أعني لا تقبل تأويلا، وأن الواجب

١) المصدر نفسه: ص٣٥
٢) البخاري: كتاب العلم: باب من خص بالعلم قوما دون قوم، (رقم١٢٧)
٣) فصل المقال: ابن رشد، ص٣٦

هوالتصريح بهذه الأشياء للجمهور، فصاروا بتصريحهم للجمهور بتلك الاعتقادات الفاسدة، سببا لهلاك الجمهور، وهلاكهم في الدنيا والآخرة)[1] لذلك يمنع ابن رشد اطلاع العامة على نتائج التأويل

قسم ابن رشد الناس إلى مستويات، من حيث قدرتهم على الاستيعاب والفهم، وطالب بمنع قراءة كتب أهل العلم للعامة، لأن ذلك يزرع الشك في قلوبهم خاصة، أحكام التأويل في الشريعة.(لأن مقصود الشرع هو(تعليم العلم الحق والعمل الحق).العلم الحق، هومعرفة الله وسائر الموجودات، على ما هي عليه، ومعرفة السعادة الأخروية والشقاء الأخروي، بينما العمل الحق: هوامتثال الأفعال التي تفيد السعادة، وتجنب الأفعال التي تفيد الشقاء)[2]

لمعرفة الحقيقة عند ابن رشد طريقان، الأول: معرفة الحقيقة استناداً على الدين المنزل بوحي من الله تعالى، ولا يمكن إخضاع نصوصه، للتمحيص والتدقيق والفهم الشامل، والثاني معرفة الحقيقة اعتمادا على الفلسفة، وهومسموح به فقط، للنخبة والخاصة من العلماء، الذين يتميزون بملكات فكرية عالية، تمنحهم خصوصية التأويل، الذي لم يسمح به للعامة ويلوم على الغزالي، نقله الخلاف مع الفلاسفة إلى العامة، وتكفيرهم في ثلاث مسائل، هي : القول بقدم العالم، وأنه تعالى لا يعلم الجزئيات، وتأويل ما جاء في حشر الأجساد وأحوال المعاد.وكان على الغزالي أن لا يفصح بهذا الجدال، إلا لمن هومن أهل التأويل، الراسخ في العلم(لأنه إذا لم يكن أهل العلم يعلمون التأويل، لم يكن عندهم مَزِيَّةُ تصديق، توجب لهم من الإيمان به، مالا

١) المصدر نفسه: ص٥٩
٢) المصدر نفسه: ص٥٤

يوجد عند غير أهل العلم، وقد وصفهم الله تعالى، بأنهم المؤمنون به، وهذا إنما يحمل على الإيمان، الذي يكون من قبل البرهان)[١]

ويغلط الغزالي، من خلال دفاعه عن الفارابي وابن سينا، بأنه نسب إليهما ما لم يقولاه. وهما في الأصل، لا يختلفان عن المتكلمين والفقهاء، ويكاد يكون الاختلاف في التسمية فقط

العالم بين القدم والحدوث

اتفق المتكلمون من الأشعرية والحكماء، على أن هنا ثلاثة أصناف من الموجودات طرفان، وواسطة بين الطرفين، واختلفوا في الواسطة[٢]

-الطرف الأول، موجود وجد من شيء غيره، وعن شيء، أعني عن سبب فاعل، ومن مادة، والزمان متقدم عليه، أعني على وجوده

هذه هي حال جميع الأجسام التي تدرك بالحس، مثل الماء والهواء، والأرض، والحيوان، والنبات، وغير ذلك.اتفق الجميع، من القدماء والأشعريين على تسمية، هذا الصنف من الموجودات بالمحدثة

-والطرف المقابل لهذا: موجود لم يكن من شيء، ولا عن شيء، ولا تقدمه زمان.هذا الموجود اتفق الجميع، من الفرقتين، على تسميته قديما.مدرك بالبرهان، هوالله، تبارك وتعالى، فاعل الكل، وموجده، والحافظ له، سبحانه وتعالى قدره.

-والموجود الذي بين هذين الطرفين: هوموجود، لم يكن من شيء، ولا تقدمه زمان، ولكن موجود عن شيء، أعني عن فاعل، وهذا هوالعالم بأسره[٣]

---

١) المصدر نفسه: ص٣٧

٢) انظر فصل المقال: ص٤١

٣) المصدر نفسه : ص٤١

هذا الموجود، قد أخذ شبها من الوجود المحدث، ومن الوجود القديم.(فمن غلب عليه ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث، سماه قديما، ومن غلب عليه ما فيه من شبه المحدث سماه محدثا.وهوفي الحقيقة، ليس محدثا حقيقيا، ولا قديما حقيقيا، فإن المحدث الحقيقي فاسد ضرورة، والقديم الحقيقي ليس له علة)[١]

العالم يتوسط بين القدم والحدوث عند ابن رشد.ميز بين القدم المطلق والحدوث المطلق: لأن القديم المطلق هوما ليس له علة ولا يوجد من شيء، هوالله سبحانه، والحادث المطلق هوما له علة، ووجد من شيء.هوالأشياء الجزئية أوالأجسام، والعالم يتوسط القدم المطلق والحدوث المطلق؛ فهوأزلي الحدوث.أي أن العالم ليس قديماً على الحقيقة، وليس محدثاً على الحقيقة، بل هوقديم ومحدث في الوقت نفسه، قديم بمعنى صدوره عن الله تعالى، ومحدث بمعنى افتقاره إلى علة موجدة له، لذلك يرجع ابن رشد الخلاف، بين الفلاسفة والمتكلمين إلى التسمية

إذا كان العالم يجمع بين القدم والحدوث، فمذاهب العلماء في العالم ليست متباعدة، حتى يتبادل حكم الكفر بينهم(كما ظن المتكلمون في هذه المسألة، أعني أن اسم القدم والحدوث في العالم بأسره، هومن المتقابلة.وقد تبين من قولنا أن الأمر ليس كذلك)[٢]إن اسم القدم والحدوث في العالم بأسره، ليس من المتقابلات اللفظية، التي تنبئ عن وجود لفظتين تحمل أحداهما عكس معنى الأخرى، كالوجود والعدم ، والصدق والكذب.

وقول المتكلمين في العالم، ليس على ظاهر الشرع، بل متأولون، فلم يقل الشرع في نص أبدا، أن الله كان موجودا مع العدم المحض، فكيف يتصور أن الإجماع انعقد

١) المصدر نفسه : ص٤٢
٢) المصدر نفسه: ص٤٢

في تأويل المتكلمين لهذه الآيات ؟!وبتصفح وبحث ظاهر الآيات، الواردة في الإخبار عن إيجاد العالم، تؤكد الآيات أن العالم(صورته محدثة بالحقيقة، وأن نفس الوجود والزمان، مستمر بين الطرفين، أعني غير منقطع،وذلك أن قوله تعالى: {وَهُوالَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود: آية ٧] يقتضي بظاهره، أن وجودا قبل هذا الوجود، وهوالعرش والماء، وزمانا قبل هذا الزمان، أعني المقترن بصورة هذا الوجود، الذي هوعدد حركة الفلك، وقوله تعالى: { يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَات} [إبراهيم : آية ٤٨]، يقتضي أيضا، بظاهره، أن وجودا ثانيا بعد هذا الوجود.وقوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ }[فصلت: آية ١١]، يقتضي، بظاهره، أن السماوات خلقت من شيء)[١]

علم الله بالجزئيات

يرى ابن رشد أن الغزالي قد أخطأ فيما غلط فيه الفلاسفة بأن الله تعالى، لا يعلم الجزئيات أصلا، بل(يعلمها بعلم غير مجانس لعلمنا بها، وذلك أن علمنا بها معلول للمعلوم به، فهومحدث بحدوثه، ومتغير بتغيره، وعلم الله سبحانه بالوجود، على مقابل هذا، فإنه علة للمعلول الذي هوالموجود، فمن شبه العلمين أحدهما بالآخر، فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصها واحدة، وذلك غاية الجهل)[٢]

وكيف يتصور من الحكماء أن يرون أن الله لا يحيط علما بالجزئيات، وهومن ألهم النائم بما يراه في منامه من إنذارات وغيرها من الإلهامات، هم(يرون أن الرؤيا الصادقة الحادثة، تتضمن الإنذارات بالجزئيات الحادثة، في الزمان المستقبل، وأن ذلك

١) المصدر نفسه: ص٤٣
٢) فصل المقال: ابن رشد، ص٣٩

العلم المنذر، يحصل للإنسان في النوم، من قبل العلم الأزلي، المدبر للكل والمستولي عليه)[١]

والفلاسفة لا ينفون علم الله بالجزئيات على نحوعلمنا فقط، بل والكليات أيضا، فعلمه تعالى لا يوصف بالكلي ولا بالجزئي(وليس يرون أنه لا يعلم الجزئيات فقط، على النحوالذي نعلمه نحن، بل ولا الكليات....ولذلك ما قد أدى إليه البرهان، أن ذلك العلم منزه عن أن يوصف بكلي أوبجزئي، فلا معنى للاختلاف في هذه المسألة، أعني في تكفيرهم أولا تكفيرهم)[٢]فمراد الفلاسفة بعدم علم الله بالجزئيات، العلم المحدث الذي من شرطه الحدوث بحدوثها، وما يشعر به الحوادث من شدة في الألم، أوبهجة في الفرح، أولذة في الشهوات، الله منزه عنه جميعا

المعاد

المعاد، من المسائل المختلف فيها، بين الأخذ بالظاهر أوالتأويل(نرى قوما ينسبون أنفسهم إلى البرهان، يقولون: إن الواجب حملها على ظواهرها،إذ كان ليس ها هنا برهان، يؤدي إلى استحالة الظاهر فيها، وهذه طريقة الأشعرية.وقوم آخرون أيضا ممن يتعاطى البرهان يتأولونها، وهؤلاء يختلفون في تأويلها اختلافا كثيرا، وفي هذا الصنف أبوحامد معدود هووكثير من المتصوفة، ومنهم من يجمع فيها التأويلين، كما فعل ذلك أبوحامد في بعض كتبه)[٣]

المخطئ في هذه المسألة عند ابن رشد، من العلماء، معذور والمصيب مشكور، أومأجور، لأن أساس الإيمان عنده هوالاعتقاد في وجود البعث نفسه، وليس وصف

١) المصدر نفسه : ص٣٩
٢) المصدر نفسه : ص٤٠
٣) المصدر نفسه: ص٥٠

البعث بأنه جسماني، أوروحاني، والفيلسوف إذا(اعترف بالوجود، وتأول فيها نحوا من أنحاء التأويل، أعني صفة المعاد، لا في وجوده، إذا كان التأويل لا يؤدي إلى نفي الوجود.وإنما كان جحد الوجود في هذه كفرا، لأنه في أصل من أصول الشريعة، وهوممما يقع التصديق به بالطرق الثلاثة المشتركة للأحمر والأسود)[١] أي بالأخذ بالظاهر، أوالتأويل، أوالجمع بينهما

اتفقت جميع الشرائع الدينية على وجود المعاد الشرائع الدينية وأقام عليه العلماء البراهين ، (وإنما اختلفت الشرائع في صفة وجوده، ولم تختلف، في الحقيقة، في صفة وجوده، وإنما اختلفت في الشاهدات التي مثلت بها للجمهور تلك الحال الغائبة.وذلك أن من الشرائع من جعله روحانيا، أعني للنفوس، ومنها من جعله للأجساد والنفوس معاً)[٢] تقر كل الشرائع أنّ للنفوس بعد الموت أحوالاً من السعادة أوالشقاء، واختلفت في تمثيل هذه الأحوال وطريقة تفهيم وجودها للناس.وتمثيل المعاد لجمهور الناس بالأمور الجسمانية أفضل من تمثيله بالأمور الروحانية، لأن ذلك أتم لفهم الجمهور وأكثر تحريكاً لنفوسهم.

المختلفون في هذه المسائل العويصة، مثل مسألة قدم العالم أوحدوثه، علم الله بالجزئيات ، والمعاد: (إما مصيبين مأجورين، وإما مخطئين معذورين)[٣]والمخطأ في الشرع منهم على ضربين:

١) المصدر نفسه: ص٥١
٢) مناهج الأدلة: ابن رشد، تحقيق محمود قاسم، ص١٩٠، المكتبة الأزهرية ٢٠١٠
٣) فصل المقال: ابن رشد، ص٤٣

الأول: خطأ يُعْذَرُ فيه من هومن أهل النظر في ذلك الشيء الذي وقع فيه الخطأ، كما يُعْذَرُ الطبيب الماهر إذا أخطأ في صناعة الطب، والحاكم الماهر إذا أخطأ في الحكم، ولا يُعْذَرُ فيه من ليس من أهل ذلك الشأن

الثاني: خطأ ليس يعذر فيه أحد من الناس، بل إن وقع في مبادئ الشريعة فهوكفر، وإن وقع فيما بعد المبادئ فهوبدعة، وهذا الخطأ هوالخطأ الذي يكون في الأشياء، التي تفضي جميع أصناف طرق الدلائل إلى معرفتها، فتكون معرفة ذلك الشيء بهذه الجهة، ممكنة للجميع[١]

الكافر: من جحد أصلا من أصول الشرع، مثل الإقرار بالله، تبارك وتعالى، وبالنبوات، وبالسعادة الأخروية والشقاء الأخروي(معاند بلسانه دون قلبه، أوبغفلته عن التعرض إلى معرفة دليلها، لأنه إن كان من أهل البرهان، فقد جعل له سبيل إلى التصديق بها بالبرهان، وإن كان من أهل الجدل، فبالجدل، وإن كان من أهل الموعظة، فبالموعظة.ولذلك قال عليه السلام: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي)[٢].يريد بأي طريق اتفق لهم من طرق الإيمان[الثلاثة])[٣].والفلاسفة لم ينكروا أصلا من أصول الدين، بل اقروا بوجود الأصول الشرعية الثلاثة.والكافر، هوالمتأول في وجودها وليس وصفها، والفلاسفة لم يفعلوا ذلك، فلا يجوز تكفيرهم.

١) المصدر نفسه: ص٤٥
٢)صحيح مسلم: كتاب الايمان، (باب الأمربقتال الناس حتى يقولوا)، رقم(٣٤)
٣) فصل المقال: ابن رشد، ص٤٦

تهمة الكفر بين الغزالي وابن رشد

أخذ ابن رشد على الغزالي أنه أفشى تأويل أهل العلم بين عامة الناس، وكشف العلم في من ليس لديه علم، فأدى ذلك إلى انقسام الناس إلى ثلاثة تيارات: من طعن في الحكمة، ومن طعن في الشرع، ومن أراد الجمع بين الحكمة والشرع، ومنهم الغزالي(ويشبه أن يكون ذلك أحد مقاصده بكتبه، والدليل على أنه رام بذلك تنبيه الفطر، أنه لم يلزم مذهبا من المذاهب في كتبه، بل هومع الأشعرية أشعري، ومع الصوفية صوفي، ومع الفلاسفة فيلسوف)[١]

كما وجه الغزالي تهمة الكفر إلى الفلاسفة في القضايا الثلاثة، فقد رد ابن رشد تهمة الكفر للغزالي، فيمن يفشي علم أهل التأويل لمن لا علم له، (فقد دعاه إلى الكفر، والداعي إلى الكفر كافر)[٢](القياس البرهاني)هوعلم الخاصة من العلماء، بينما القياس الخطابي والجدلي هما طريقا التصديق للعامة، لا يجوز أن يكتب للعامة ما لا يدركونه، وما لا يعلمون من التأويل ، ومن أباحه للجمهور فقد أفسده، ويتهم الغزالي بأنه قد فعل ذلك

وجّه ابن رشد اللوم إلى الذين يكفّرون الخصوم، فيما ليس عليه إجماع قطعي متواتر في العلوم النظرية، ووقع فيما لام عليه الغزالي، بأن ألقى حكم الكفر في مسألة نظرية، لم يقم عليها إجماع! فظهر التناقض في أقواله: (ما نرى أن من كان من الناس فرضُه الإيمان بالظاهر، فالتأويل في حقه كفر، لأنه يؤدي إلى الكفر، فمن أفشاه له من أهل التأويل، فقد دعاه إلى الكفر، والداعي إلى الكفر كافر)[٣] ويكرر ابن

١) المصدر نفسه: ص٥٢
٢) المصدر نفسه: ص٥٢
٣) المصدر نفسه: ص٥١

رشد حكم الكفر على "فرقة من الأشعرية لأنها(كفّرت من ليس يعرف وجود الباري سبحانه، بالطرق التي وضعوها لمعرفته في كتبهم.وهم الكافرون والضالون بالحقيقة)[١]

أصول الدين اعتقاد لا يجوز للعقل الجدال فيها، لأنه يتعلق بكل غيب، واقع خارج ميدان العقل، وخارج البديهة والحس، والنظر في الموجودات، وما في الكون من ظواهر ينبه العقل إلى توظيف مداركه لإنتاج معرفة برهانية، تدعم المعرفة الإيمانية، التي تعطيها هذه الأصول

لم يخطأ ابن رشد الغزالي في حكمه في المسائل التي عابها على الفلاسفة، بل نفى عن الفلاسفة قولها أصلا، وأنه قد اختلط عليه الأمر، لشرح فلاسفة المسلمين ابن سينا وغيره الخاطئ لأقوال فلاسفة اليونان، ولم ينسب هذه الأقوال التي نعتها الغزالي بالكفر إلى الفلاسفة ، ونسب إليهم فقط مسألة المعاد الروحاني، وأنكر عدم علمه تعالى بالجزئيات، وأرجع القول بقدم العالم أوحدوثه، إلى الخلاف اللفظي

إذا كان الفلاسفة وهم ما لهم من اتساع العلم والقدرة على البرهان، استطاع الغزالي أن يجعلهم في مرمى النقض، والغزالي حجة الإسلام الذي لا يبارى في علمه، كان في مرمى النقد لابن رشد، وابن رشد كان في مرمى النقد من الكثيرين، فذلك سمة العلم، بحر وافر ينهل منه الجميع، كل حسب قدره واستيعابه ونباهته، يتحدث عنه الجميع، ويختلف عليه الجميع، كل حسب منهجه، وكيفية التناول ووجهة النظر، وكل معلومة مهما كانت في مقام المراجعة، إلا علم الأنبياء، " وفوق كل ذي علم عليم"

ويرجع سبب الخلاف بين العالمين الجليلين إلى حقيقة التأويل.وكم من عالم رمى بالكفر علماء، فلا تجزع من كثرة الحكم بكلمة الكفر، فوقوعُ الاختلاف فيها منذ زمن وجود الصحابة(على ومعاوية)"رضي الله عنهما"، لأنها تحتمل الكثير من التأويل، فقد

١) المصدر نفسه: ص٦٤

يراد بها كفر النعمة وقد يراد بها كفر الملة، وهوكفر يختلف عن كفر، واختلاف بعض علماء السلف، أوبعض الأئمة، لا يوجب اعتبار ذلك الحكم مطلقًا، فكم من قول غير سائغ ولا معتبر قد صدر من فقيه وإمام معتبر، مر مرور السحاب، لأنه خطأ في الاجتهاد، وليس كفرا في الاعتقاد.أراد الغزالي تصحيح مسار الفلسفة، لتبتعد عن قضايا الغيب الذي يختص بها الدين ، وأراد ابن رشد أن ليس كل ما يعرف يقال، فمن يعرف بالتصريح لا يلزمه المعرفة بالتأويل، لأنه ليس أهل له

بين الغزالي وابن رشد مواطن اتفاق، لكن ما وسع الفجوة بينهما أن علماء الكلام تحيزوا للغزالي، والفلاسفة تحيزوا لابن رشدوا، فتباروا لإظهار الخلاف بينهما، وأوضح ما أتفقا عليه ، أن تكفير الغزالي للفلاسفة، ليس بالكفر الصراح، بل هوتحذير، بمثابة: "من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه"

الخاتمة

١-أطلق الدين الإسلامي حرية الفكر في القضايا المعاصرة والمسائل المتجددة، وعلي هذه المذاهب الفكرية، أن تراعي حرمة أصول الدين، فتحريفها تأويلا أوتصريحا، يخرج الإنسان من الدين.الدين باق، وتذهب المذاهب بنيتها الطيبة وغير الطيبة، وليس بمؤمن من يترك عقيدته من أجل مذهب، يحقق له مصالح شخصية

٢-ليس من أصول الدين الإسلامي حجر العقل عن التفكير، وعلى المذاهب الفكرية أن تلتزم بدورها، لا تتعدي على رسالة الدين، خاصة أن الدين الإسلامي مذهب إيماني وفكري شامل. جانب الإيمان فيه يتعامل مع روح الإنسان ووجدانه، ليس للفكر فيه قولا، إلا إتباع كلمة الدين

٣- التراث تواصل مادي ومعنوي مستمر بين أجيال الماضي وأجيال الحاضر، يشكل ضمير الأمم والفكر والوجدان والأخلاق، يعبر بهم إلى مستقبل أفضل.هومن مظاهر الإبداع الفردي والجماعي للأمة، خلال تاريخها الطويل، وأفضل تعبير عن الهوية الثقافية للأمة الإسلامية.الموضوعي من المفكرين يتعامل مع التراث فيما عدا الكتب السماوية، على أنه عطاء عقلي، به من الأفكار والأفعال ما هوصحيح، وما هوغير صحيح، تحت شعار "كل يؤخذ منه ويرد، إلا النبي محمد "صلي الله عليه وسلم"

٤-قول الصدق والدخول مباشرة إلي الحق، أكثر ما يجذب الناس إلى جوهر الأمر.سهل الله للإنسان كل سبل المعرفة، منها ما هوفطري، ودليل ذلك المنطق الذي تعلن قواعده ثبوت الله تعالى، فوجود الله تعالى حقيقة منطقية.قواعد المنطق المغروس في ذهن الإنسان وسيلة منحها الله للناس لاكتساب المعرفة في كل

علم.وما ذكرته من قواعد في شرح التحليل والتركيب، يجمعه علم يسمى أدب البحث والمناظرة ثروة عظيمة، عند تطبيقه يثقل الفكر الإسلامي، ويتوافق مع أصحاب المدرسة النقدية، التي يمنحها الغرب المنزلة والجائز الكبيرة

٥-يهتم الغرب كثيرا بالتصوف والمتصوفين، وجدوا فيه غايتهم، يداعب مشاعرهم، ويتوافق مع بعض نظرياتهم الروحية، فهومركز التقاء، يبني عليها علاقة أخوة تقضي على الكثير من الخلاف.أما كلمة الكفر فتثير الفرقة والعداوة بين الناس وبين الشعوب، بلا داع، وما وضعه العلماء من شروط، تصعب الحكم بالكفر على أي إنسان، لكي يتورع الناس في استخدامها

٦-من غير الدعوة إلى التجديد، المسلمون أولى أن يغوصوا في بحر العلوم، ويستخرجوا منه أغلى الأصداف، ولكل مجتهد نصيب، بحسب النية وإتقان العمل، فقد رفعت هذه العلوم أمة الإسلام سابقا، وجعلتها حضارة لا تغرب عنها الشمس، والله قادر بقوة عزمنا، ونباهة علمائنا، أن نرجع مجد آبائنا

وأخيرا روي عن علي كرم الله وجهه (من أحب أن يكتال، بالمكيال الأوفى من الأجر، يوم القيامة، فليكن آخر كلامه، إذا قام من مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين)

ثبت المراجع

١-الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبوالحسن الماوردي، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ط١، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت١٩٨٩م

٢-أسباب النزول: أبوالحسن الواحدي، دار الكتب العلمية

٣-الإمامة، مرتضى المطهري، ترجمة: جواد علي كسار، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع.

٤-البداية والنهاية: إسماعيل ابن كثير، ج٧، دار الفكر١٩٨٦

٥-تهافت التهافت: ابن رشد، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان

٦-تهافت الفلاسفة: أبوحامد الغزالي، تحقيق سليمان دنيا، ط٦، دار المعارف

٧-حاشية على العقائد العضدية: محمد عبده، ط١، المكتبة الخيرية ١٣٢٢ هـ

٨-شرح الولدية في آداب البحث والمناظرة: عبد الوهاب بن حسين الآمدي، ط الأخيرة، الحلبي١٩٦١م

٩-عقائد الإمامِية: محمد رضا المظفر، مركز الأبحاث العقائدية بإيران ١٤٢٢هـ

١٠-غياث الأمم في التياث الظلم: أبوالمعالي الجويني، تحقيق: مصطفى حلمي، فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة بالأسكندرية

١١-فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال: أبوالوليد ابن رشد، تحقيق محمد عمارة، ط٣، دار المعارف

١٢-فيصل التفرقة، رسالة من مجموعة رسالات للغزالي تحت اسم القصور العوالي، تحقيق محمد أبوالعلا، مكتبة الجندي

١٣- لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، كورنيش النيل

١٤-المختار من النصوص الفلسفية: عبد العزيز سيف النصر، مكتبة الإيمان ٢٠١٤م

١٥-المراجعات: رسائل بين سليم البشري وشرف الدين العاملي، تقديم محمد فكري أبوالنصر، ط٦، مطبوعات النجاح ١٩٧٦

١٦-مع الشِّيَعة الإمامية في عقائدهم، جعفر السبحاني ط١، معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية، ١٤١٣هـ

١٧-المستصفي في علم الأصول: أبوحامد الغزالي، الجزء الأول

١٨-المعجم الوجيز: وزارة التربية والتعليم

١٩-المنقذ من الضلال: أبوحامد الغزالي، مركز الكتاب للنشر ١٩٩١

٢٠-نشر الطوالع: المرعشي، ط١، مكتبة العلوم ١٩٢٤م

٢١-نشر المحاسن الغالية: أبومحمد اليافعي، تحقيق إبراهيم عوض، الحلبي

الفهرس

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	١٥
الفصل الأول	١٧
فوائد التجديد، ومحاولات دراسة التراث	
المبحث الأول : فوائد تجديد التراث	١٨
المبحث الثاني : دراسة التراث الإسلامي	٢٣
الفصل الثاني	٤٠
تطبيق للتعامل مع التراث	
المبحث الأول: حكم اختلاف الدين، أوالمذهب	٤١
المبحث الثاني : حكم من على مذهب الفلاسفة	٥٤
المبحث الثالث: منهج ابن رشد في الرد على الغزالي	٧٣
تهمة الكفر بين الغزالي وابن رشد	٨٨
الخاتمة	٩١
ثبت المراجع	٩٣